

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة



الميدان: اللغة والأدب العربي
فرع: دراسات أدبية
تخصص: أدب جزائري

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
الرقم: L15/341

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب (ة): زايدي نسرين

تحت عنوان

أشكال التعبير الأدبي في كتابات "أحمد توفيق المدني"
"حياة كفاح" أنموذجاً

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة -	- د/ كاهية باية
مشرفاً ومقرراً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة -	- د/ شتوح خضرة
مناقشاً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة -	- د/ عليوي عمر

السنة الجامعية : 2016-2017 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شكر و عرفان

يقول الله تعالى في محكم تنزيله :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْعَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ﴾

اللهم أعنا على شكرك على الوجه الذي ترضى به عنا نتقدم بالشكر الجزيل

إلى الأستاذة الفاضلة **شتوح خضرة**

على حسن اشرافها وتشجيعها المتواصل لي في مضمار هذا البحث العلمي

كما نتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة كلية اللغة والأدب العربي

كما لا يفوتنا أن نتقدم كذلك بأسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان إلى

كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

من إنجاز هذا العمل من الأساتذة والزملاء والزميلات في الدراسة

وإلى كل محب لله والعلم والوطن



مقدرة

مقدمة:

إن أهم ما يميّز الأدب الجزائري منهم النثر منه، الذي اهتم به الكثير من الأدباء منهم أدياء الحركة الإصلاحية ورجالها، الذي يرجع لهم الفضل الكبير في التعبير عن أحوال المجتمع الوجدانية والسياسية والاجتماعية والدينية والفكرية، على غرار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها الدور الكبير في الإصلاح الإسلامي وتغيير الوضع الديني والأخلاقي، وكانت تبت في كل وسط وفي كل مكان الإيمان الخالص، والوطنية الحقة، وأخلاق الفضيلة والرجولة الكاملة.

من هنا كانت الرغبة الجامعة للإطلاع على الوضع الثقافي الجزائري في الفترة الإستعمارية، من خلال المجهودات التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلى رأسهم "أحمد توفيق المدني" من خلال كتابه الموسوم: بـ "حياة كفاح" مذكرات.

وعلى ضوء ما سبق عنوننا موضوع بحثنا بـ: «أشكال التعبير الأدبي في كتابات "أحمد توفيق المدني" حياة كفاح أنموذجاً».

وبالتالي يطرح موضوع بحثنا التساؤلات التالية:

- ما الفنون النثرية التي عرفها الأدب الجزائري الحديث؟
- وما هي النماذج التي وظفها أحمد توفيق في كتابه «حياة كفاح»؟
- ما السمات الفنية للكتابة عند أحمد توفيق المدني؟

والأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع، فمنها أسباب ذاتية ومنها أسباب موضوعية، فمن الأسباب الذاتية حب الإطلاع على التراث الجزائري الحديث، وكذلك تقديري وإعجابنا بأدباء الحركة الإصلاحية، كما أننا لطلما وجدنا أنفسنا ميالين لجنس النثر أكثر من الشعر.

وبالنسبة للأسباب الموضوعية رغبتنا في الإطلاع أكثر على من ساهم في تطوير الأدب، كذلك معرفة كيفية توظيف "المدني" للفنون النثرية في كتابه مذكراته «حياة كفاح»، زد على ذلك غياب دراسات أكاديمية أدبية خاصة بـ: "أحمد توفيق المدني".

من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع: رسالة لنيل شهادة الماجستير كان عنوانها: "أحمد توفيق المدني" ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983م.

وللإجابة عن هذه التساؤلات وصفنا الخطة التالية والتي تناولنا فيها: مقدمة للموضوع، وفصلين، "الفصل الأول" بعنوان: «الفنون النثرية في الأدب الجزائري الحديث» القصة، الفن المسرحي، فن الرسالة، فن المقال، أدب الرحلة، الخطابة، السيرة الذاتية، أما "الفصل الثاني" فكان عنوانه: «نماذج من الفنون النثرية في كتاب "حياة كفاح"» تطرقت فيه إلى نماذج نثرية مختلفة، الرحلة، الرسائل، المقال، الخطابة، السمات الفنية للكتابة عند "أحمد توفيق المدني".

وما توصلنا إليه في النهاية كانت بمثابة خاتمة للبحث أما الملحق فأوردنا فيه "ترجمة أحمد توفيق المدني وأعماله".

ولعل من الأهداف التي نهدف إلى تحقيقها تبين الإسهامات التي قام بها رجال الإصلاح، والوقوف على المستوى الفني في كتابه "حياة كفاح" على رأسهم "أحمد توفيق المدني".

أما عن المنهج المعتمد في البحث، فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي في الجزء النظري، من أجل تتبع الأحداث التاريخية التي يسرت لنا الفهم والاستنتاج، والمنهج الوصفي التحليلي في الجزء التطبيقي، لتحليل النصوص النثرية والوقوف على مقاصدها.

للتمكن من المادة العلمية في البحث، لابد من الإطلاع على جملة من المصادر والمراجع، فكان أهمها كتاب "حياة كفاح"، بأجزائه الثلاثة، "لأحمد توفيق المدني"، "تطور النثر الجزائري الحديث" (1830-1954) لعبد الله الركيبي، "فنون النثر الأدبي في الجزائر" (1931-1954)، لعبد المالك مرتاض وغيرها.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث، الحجم الكبير لكتاب "حياة كفاح"، بأجزائه الثلاث والتي ناهزت صفحاته الألفي صفحة، بل هي بالضبط (1910) صفحة، إضافة إلى ضيق الوقت.

وفي الأخير ومهما كانت المادة العلمية المقدمة، ومهما كانت النتائج الموصلة إليها فمن الأكيد أن البحث قد أغفل الكثير من الجوانب.

لا يسعنا أخيراً إلا أن نوجه الشكر الجزيل إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة شتوح خضرة، التي ساعدتنا ومنتحتنا كل ثقتها وشجعتنا على مواصلة البحث.

كما الشكر الموصول إلى لجنة المناقشة التي تحملت عناء القراءة والتصويب، وإلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد.

المسيلة: 2017/05/04

الطالبة: زايدي نسرين

نفس

تمهيد:

إن جميع الفنون النثرية الجزائرية الحديثة ابتداء من القصة و مرورا بالمسرحية والرواية إلى المقالة الأدبية والأبحاث النقدية، قد تطورت تطورا كبيرا، وليس هذا التطور دليلا على تفوق الأديب الجزائري المعاصر على الأديب الجزائري لفترة ما قبل الاستقلال بقدر ما هو دليل على قدرة الأدب الجزائري الحديث على مواكبة النهضة العامة للشعب الجزائري.

ويكفي دليلا على هذه القدرة أن "الطاهر وطّار"، و"عبد الحميد بن هدوقة"، و"أبا العيد دودو"، وغيرهم من كُتّاب القصة القصيرة والرواية والمسرحية، فقد انتقلوا بعد سنوات قلائل منذ الاستقلال من الحديث عن الثورة وأحداثها إلى الحديث عن مشاكل الطبقة الكادحة.

"فالطاهر وطّار" في رواية "الزّلزال"، و"ابن هدوقة" في رواية "نهاية الأّمس" وغيرهما في "الطعنات" و"اللّاز" و"ريح الجنوب"، و"الكاتب وقصص أخرى"، هما غيرهما في المحاور والمواقف والأسلوب، ومثل هذا يمكن أن يقال بالقياس إلى دودو في أعماله الأولى، وأعماله الأخيرة، وكما يدل هذا التطور على أن الأدب الجزائري قادر على التطور حسب الظروف الجديدة للمجتمع، كذلك يدل على أن الشعب الجزائري نفسه استطاع بعد مرور سنوات قلائل، أن يتحرر من الجو النفسي والحضاري الذي كان يعيشه أثناء الثورة وبعدها، لينصرف في آخر الأمر إلى الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها.

وإذا تحدثنا على القصة والرواية وتطورهما في عهد الاستقلال، فإنما ذلك لأن المسرحية لم تتسع آفاقها في هذا العهد، كما نلاحظ بالنسبة إلى القصة والرواية وأن المسرحيات التي ألفت في هذه الفترة لا تكاد تتعدى أصابع اليدين، ومنها مسرحيات

"التراب" ، "لأبي العيد دودو" و"الهارب" ، "للطاهر وطّار" ، وهي مسرحيات قيمة من حيث الفنيات، وهادفة من حيث المحتوى والغاية، وهي في مجملها تدور حول أحداث الثورة وآثارها ولكن الملاحظ أن هؤلاء الكتاب انصرفوا عن كتابة المسرحية وتخصصوا في كتابة القصة والرواية، كما فعل و"طّار" و"دودو".¹

لعل ما يميز النثر في هذه الفترة، هو ما حدث له من تغيير في الصياغة والشكل منذ بداية الاحتلال الفرنسي، فقد "تحرر من القوالب المحفوظة وتحرر من السجع إلا ما جاء عفو الخاطر، أو لا تكلف فيه مقصود الذات، كما مال الأسلوب إلى السهولة والبعد عن التعميم، فاللغة تحررت من تلك الألفاظ القاموسية الغربية وأصبح هدف الكاتب هو التعبير عن أفكاره في وضوح دون بهرجة أو تنميق أو زخرفة لفظية لا تحوي معنى جيدا، أو رأيا مبتكرا.

"إن يظهر من خلال هذا القول أن النثر قد تطور في الصياغة والأسلوب، وهذا التطور أملتة ظروف الفترة، التي حتمت على الأدباء الالتزام بقضايا الشعب، والدفاع عن هويته العربية الإسلامية، بأسلوب بسيط مباشر يخدم الفكرة".²

مثلما وُجد شعراء في الحركة الشعرية في الجزائر، وُجد أيضا أدباء احترفوا الكتابة النثرية بمختلف ألوانها، وسنحاول تقديم عرض موجز لأهم المحطات الإبداعية في النثر الجزائري الحديث.

¹ - محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص 120-121.

² - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1930-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 8.



الفصل الأول



الفنون النثرية في الأدب الجزائري الحديث

أولاً: القصة

ثانياً: الفن المسرحي

ثالثاً: فن الرسائل

رابعاً: فن المقال

خامساً: أدب الرحلة

سادساً: الخطابة

سابعاً: السيرة الذاتية

أولاً: القصة :

نستهل الحديث عن الأجناس الأدبية التي تعتبر "من أهم أنواع الأدب، وقد اتخذت القصص لقربها من قلوب القارئ، وسيلة من أكثر الوسائل فاعلية لنشر النظريات الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وكل الطبائع البشرية وما يعرض لها من حوادث تصلح لأن تكون موضوع قصة".¹

لا يخفى أن النفس البشرية تتجذب إلى أسلوب القصة الشيق، كما نجد أسلوب القص في تراثنا الديني (القصص القرآنية)، ونجد أيضا في أسلوب المقامات...

تأخر ظهور هذا الفن القصصي في النثر الجزائري حديثا لأسباب عديدة من بينها ضعف أداة التعبير (اللغة العربية)، بسبب سياسة التضييق المنتهجة من الإدارة الفرنسية ضد كل ما يساهم في بعث الهوية العربية الإسلامية. "ومن الأسباب التي أدت إلى تأخر ظهور القصة، الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع، تجاه العديد من الطابوهات، كعلاقة الرجل بالمرأة، وقصص الحب.

إضافة إلى عدم وجود الملتقى لهذه الأعمال القصصية، لانتشار الجهل والأمية، وأيضا ضعف النقد الموجه، زد على ذلك انعدام وسائل التشجيع على التأليف في هذا اللون من الأدب، كل هذا وغيره أسهم في تعطيل ظهور القصة وتطورها".²

مما سبق تبين لنا أن القصة لم تتوفر لها أسباب الظهور، وعليه فإننا لا نعثر على أعمال قصصية فنية مكتملة، وما نجده هو محاولات بأشكال قصصية تفتقد

¹ - محمد الباكير البرازي: في النقد الادبي الحديث، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1986، ص143.

² - عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، المرجع السابق، ص162.

سمات وخصائص القصة الفنية، لكنها كانت ارهاصات مهدت لظهور القصة الفنية، مثل المقال القصصي و الصورة القصصية.

- القصة الجزائرية النشأة والتطور:

أ. النشأة:

تضاربت الاقوال في تحديد الانطلاقة الفعلية للقصة الجزائرية الحديثة، فذهب الدكتور عبد المالك مرتاض إلى أن قصة المساواة "فراسنواي الرشيد"، لمحمد السعيد الزاهري، التي نشرت في العدد الثاني من جريدة الجزائر في 10 أوت 1925، هي أول محاولة قصصية، فيقول في ذلك "أول محاولة قصصية عرفها النثر الجزائري الحديث، تلك القصة المثيرة نشرت في جريدة الجزائر"¹، التي تعالج قضية المساواة السياسية في الجزائر بين الجزائريين والفرنسيين، تذهب الدكتورة "عايدة أديب بامية، إلى أن أول قصة منشورة هي قصة "دمعة على البؤساء"، التي نشرت بجريدة الشهاب في عدديها الصادرين يومي 18 و 28 من شهر أكتوبر 1962 "لعلي بكر السلامي"، وفيها هاجم الطرقيين واتهمهم باستغلال الشعب لمآرب شخصية، واعتبرهم أشراراً.²

يتضح لنا ان نظرة "علي بكر السلامي" تلتقي مع رؤية رجال الحركة الاصلاحية في معداتهم للطرقيين واعتبراهم بلاءً على الأمة، ولا يكون تطهير البيت الخارجي، إلا بعد تطهير البيت الداخلي.

¹- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الجزائري الحديث (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1983، ص162.

²- عايدة اديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، الجزائر، 1982، ص306.

بينما يرى الدكتور "صالح خرفي" أن محمد العابد الجلاي، هو رائد القصة الجزائرية القصيرة، وقد كتب مجموعات قصصية نشرها في الشهاب في سنوات 1935-1936، باسم مستعار هو رشيد".¹

بناءً على ما سبق يمكن أن نعد محمد السعيد الزاهري، أول من غرس الفسيلة الأولى للقصة الجزائرية العربية الحديثة، لتؤتي أكلها بعد حين، هذا الأخير تمكن بفضل خياله الواسع، وقلمه البليغ أن يضع اللبنة الأولى لهذا اللون الأدبي في الجزائر ثم جاءت بعده محاولات "علي بكر السلامي" و "محمد العابد الجلاي"، وكل هذه المحاولات مهدت لظهور القصة الفنية الناضجة في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية.

ب. التطور:

قبل أن تبلغ القصة مرحلة نضجها الفني، بعد الحرب العالمية الثانية، مرت بمرحلتين فئيتين يصعب الفصل بينهما، المقال القصصي والصورة القصصية، اللذان ظهرا تقريبا في نفس الفترة، وعُنيا بمعالجة موضوعات متشابهة، وكان غرضهما خدمة الفكرة الاصلاحية إلا أنه يمكن تمييز بعض الفروق بينهما.

- المقال القصصي:

يعتبر "عبد الله الركيبي" المقال القصصي "صورة من المقال الاصلاحى الدينى، وخاصة في مضمونه و وظيفته، أما من جهة الشكل فهو مزيج من المقامة والرواية والمقال الأدبي".²

¹- ينظر: صالح خرفي: صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مجموعة قصصية)، الجزائر، ط1، 1972، ص 211-212.

²- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، ص 165.

إذن المقال القصصي تأثر بالمقال الديني الذي عرف ازدهارا على يد رجال الحركة الاصلاحية، أمثال: " عبد الحميد ابن باديس، البشير الابراهيمي، الطيب العقي"، وغيرهم وكان هدفهم إرجاع الشعب إلى ما صلح به أول هذه الأمة أي القرآن والسنة.

- غابت عن المقال القصصي الخصائص الفنية للقصة، كرسم الشخصية والعقدة الحل ورسم الشخصية، لأن كتابه لم يهتموا بهذه الخصائص، بقدر ما اهتموا بتوصيل الفكرة الاصلاحية والسرد والحوار، بأسلوب أدبي شيق، كالدعوة إلى الدين الصحيح ومحاربة البدع والخرافات.

- وممن برز في المقال القصصي: "محمد السعيد الزاهري، محمد بن العابد الجيلالي".

يمكن التمييز بين مرحلتين من المقال القصصي، المرحلة الأولى غلب عليه خدمة الفكرة الاصلاحية، دونما اهتمام بالجانب الفني، بينما أصبح في المرحلة الثانية يهتم أكثر بالجانب الفني، والدعوة " إلى أدب جزائري يواكب الحياة والالاحاح على وجود القصة فناً قائماً بذاته"¹.

- نخلص إلى أن المقال القصصي ساهم في التمهيد لظهور القصة القصيرة فيما بعد.

-الصورة القصصية:

ظهرت في المرحلة التي نشأ فيها المقال القصصي، وذلك من خلال كتاب محمد السعيد الزاهري "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" تميزت عموماً بقصر الحجم وهو أحد خصائص القصة القصيرة، كما اتسمت بضعف الحوار، فهو لا يناسب شخصياتها الرئيسية حيث تطغى عليها شخصية المؤلف، وغالبا ما تنتهي بخاتمة وعظيمة، أما موضوعاتها فهي تقريبا نفس موضوعات المقال القصصي.²

¹ - عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص163.

² - ينظر: عبد الله الركبي: المرجع السابق، ص91.

إذن فالصورة القصصية تشبه المقال القصصي، ولا تختلف عنه إلى في قصر حجمها، هذا عن الصورة القصصية قبل الحرب العالمية الثانية، أما بعدها فقد اتسمت بـ:

- تطور الصورة القصصية تطورًا كبيرًا في الشكل والمضمون.
- اعتناء الكتاب برسم شخصياتهم الفنية.
- أولى الكتاب عناصر السرد والحوار اهتمامًا حسنًا.
- تناولوا قضايا جديدة كحرية المرأة، الحب، الزواج بالأجنبيات.
- العناية باللغة، حيث صارت أكثر إيجاءً ورمزية.¹

يتضح لنا أن الصورة القصصية قد تطورت بعد الحرب العالمية الثانية كثيرًا، وصارت قريبة للقصة الفنية من خلال عنايتها بعناصرها الفنية.

- استندت الصورة القصصية على ثلاث محاور:

- ✓ رسم الشخصية الكاريكاتورية، ويتضح ذلك من خلال وصفها وتحديد تصرفاتها وإشارات الظاهرة بغرض السخرية من مواقفها وأعمالها.
- ✓ الإلحاح على فكرة نقد المجتمع وعاداته وتقاليده، ونقد الاستعمار ومخلفاته، وتكاد الشخصية تختفي بسبب التركيز على تصوير الحدث القصصي.
- ✓ وصف الطبيعة والحب وغيرهما من الموضوعات الرومنسية، وهنا تغيب الشخصية، بسبب التركيز الشديد على وصف الطبيعة ومظاهرها.²

¹- المرجع السابق، ص 144.

²- المرجع نفسه، ص 135-136.

- وهنا يمكن ملاحظة أن الصورة القصصية، أقرب للقصة الفنية من المقال القصصي وتعتبر التمهيد الحقيقي لظهور القصة الفنية، أمّا كتابها فهم تقريبا نفس كتاب المقال القصصي.

ج. عوامل ظهور القصة الفنية الناضجة في الجزائر:

يمكن تلخيص هذه العوامل في ما يلي:

- الوعي السياسي لدى المثقف الجزائري خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وأحداث 08 ماي 1945م، إضافة إلى البعثات العلمية إلى المشرق التي سهلت سبل الاطلاع على النماذج المشرقية، ومحاولة النسج على منوالها، كما كانت الثورة التحريرية مادة دسمة، تأخذ منها كل الألوان الأدبية مادتها، بما فيها القصة القصيرة، حتى أصبح هذا اللون من الفن القصصي واضح المعالم يتميز بسمات القصة وعناصرها.

- تناول القصاصون الجزائريون مختلف الموضوعات، وقد تمحورت حول: (موضوعات عاطفية، اجتماعية، نفسية، أخلاقية، إصلاحية) وإن لم يبلغ المستوى الفني لهذا النتاج منزلة رفيعة، إلا أنه عبر عن الواقع الذي يعيشه الجزائري¹.

- اتخذت القصة الجزائرية القصيرة منحى تصاعديًا، حتى وإن لم يبلغ هذا الفن منزلة رفيعة، كما أن القصاصين الجزائريين حاولوا معالجة المواضيع التي تدور في أذهانهم وتعبّر عن واقع شعبهم ومصيره في الفترة الاستعمارية، وتعد بذلك المرأة صادقة للمجتمع في تلك الفترة مثل لهذه المرحلة أسماء قصصية عديدة منها: "أبو العيد دودو، عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، عثمان سعدي، الزاهري، محمد بن العابد الجيلالي، أحمد رضا حوحو"، وهذا الأخير استحق أن يطلق عليه رائد القصة الجزائرية

¹ - عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص190.

القصيرة، وذلك لأن أعماله تميزت بتنوعها ونضجها الفني، من أعماله القصصية قصة "صاحبة الوحي"، وفيها أن شاعرا وقع في حب فتاة كان يعتبرها مثالية، ليكتشف أنها غير ذلك، بل هي كسائر البشر.

- هناك قصص عاطفية أخرى لرضا حوحو مثل: فتاة أحلامي، القبلية المشؤومة، خولة..

▪ كلمة حول قصة عادة أم القرى لأحمد رضا حوحو:

حاول الكاتب في هذه القصة تصوير حياة المرأة الحجازية ومعاناتها، وذلك بعد أن عاش في الحجاز أثناء الحرب العالمية الثانية، وأهدى القصة إلى المرأة الجزائرية المتعبة من نفس الأوضاع، وهكذا أبدى الكاتب موقفا عدائيا اتجاه العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المشرق والمغرب.

- أما إذا تكلمنا عن موضوعات القصة بعد الاستقلال "لوجدنا أن معظمها عن الثورة وما يتصل بها من حديث عن الهجرة خارج الوطن أو آثار الاستعمار ثم التقاليد والعادات، وما يتصل بهما من تصوير لعلاقة الرجل بالمرأة، أخيرا تصوير الواقع الجديد بعد الاستقلال، وهناك بعض القليل الذي تعرض لقضية فلسطين وما يتصل بها".¹

- لعل ما يبرر أن معظم القصص في مرحلة بعد الاستقلال، دار موضوعها حول الثورة أن الشعب كان حديث عهد بالحرية، وفرحته لم تكتمل بعد، وصور أبطال الثورة وبطولاتهم لازالت علقه في اذهان الشعب.

¹ - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، ص 179.

- نذكر من نماذج هذه المرحلة، مجموعة " بحيرة الزيتون " لأبي العيد دودو، هي تستقي أحداثها من الثورة وتنقلها إلى واقعها وتصور الثورة بأبطالها وأحداثها.
- أما مجموعة "الرصيف النائى" لزهور ونيسى، فهي أيضا تدور حول الثورة، غير أنها تركز على دور المرأة فيها، زوجة، أمًا، مثقفة، أمية، في الريف، في الحضر...
- كذلك مجموعة "دقت الساعة" لطاهر وطار، فمعظم شخصياتها مناضلون في الثورة، أما مجموعة "طعنات" فبعضها يتصل بالثورة والبعض الآخر بما بعد الاستقلال.
- تميزت الأعمال القصصية في الجزائر بعد الاستقلال، بتمجيد الثورة بأنواعها، التحريرية، الزراعية، الصناعية، متأثرة بإيديولوجيا السلطة الحاكمة.¹

¹- المرجع السابق، ص 180.

ثانيا: الفن المسرحي :

لجأ الاحتلال الفرنسي إلى التضييق على المسرح، لأنه مكانه خشبة المسرح وفيه اتصال مباشر بالجمهور، خوفا منه أن يكون بداية لشرارة لا تنته إلا بعد أن تأتي على بنيان المستعمر، من القواعد فيخر عليه السقف من فوقه، ورغم هذا التضييق بقي المسرح في الجزائر على أشكاله البدائية " التي عُرفت في العالم العربي، مثل عرائس الكراكوز أو خيال الظل وحفلات الذكر في مراكز الذكر الصوفية، مما يعتمد فيه على الحركة والإشارة وعلى إثارة المشاعر"¹.

إذن بعض المناسبات الدينية كانت فرصة لتمثيل بعض الحركات في الزوايا، هذه الأخيرة استخدمت التمثيل لجلب الأتباع ونشر باطلها وخرافاتهما.

تكمُن أهمية الفن المسرحي، في كونه أداة للنقد، إضافة إلى اهتمامه بقضايا الشعب وبالمقاومة السياسية التي بدأت منذ العشرينيات، أما عن الانطلاقة الفعلية للحركة المسرحية في الجزائر، فإن "الباحثين يكادون يجمعون على أن انطلاق المسرح الجزائري بدأ في سنة 1926م، وحتى السنة التي حاول فيها الجزائريون خلق مسرح عربي، يستخدم اللغة العربية الفصحى وسيلة للتعبير والتمثيل...، وهذه المحاولة تتبع من الفكرة التي تدعو إلى النهضة الحديثة التي تستفيد من الغرب ومن تقدمه الثقافي والحضاري"².

غير ان هذه المحاولات، لم يكتب لها النجاح، ذل أن الجمهور لم يكن يهتم بالمسرح للظروف المريرة التي كان يعيشها، هذا من جهة ومن جهة أخرى، جهل الجمهور للغة العربية، لأن أذنه لم تتعود على سماعها.

¹- المرجع السابق، ص 214.

²- المرجع نفسه، ص 216.

هذه العوامل وغيرها أدت إلى تراجع الكتابة المسرحية، باللغة العربية الفصحى، فاسحا المجال للمسرح الشعبي، الذي اهتم بالمشاكل الاجتماعية، مستخدما اللهجة العامية أداة للتعبير والفكاهة في الأسلوب.

" أ-العوامل التي ساعدت على ظهور الفن المسرحي في الجزائر :

- يمكن تلخيصها في الآتي:

- ظهور الأحزاب السياسية والجمعيات، خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من خلال الحفلات المدرسية، التي كانت تنظم في المدارس الحرة العربية، في المناسبات الدينية والوطنية.
- سهولة استقطاب الجمهور المتفرج، على النقيض من إيجاد الجمهور القارئ، في الفنون الأدبية الأخرى.
- وجد رجال المسرح اللهجة العامية، وسيلة للوصول إلى الجمهور، الذي كان يعاني الأمية، بسبب التضيق على اللغة العربية.
- كان الهدف من المسرح، محاربة الآفات الاجتماعية، والدعوة إلى الجانب الأخلاقي، أي كان هدفا ترويا مباشرا، وهذا لا يتأتى إلى في المسرح.
- زيارة الممثل المصري جورج أبيض إلى الجزائر عام 1921م، والتي كانت تهدف إلى نشر فن المسرح في شمال إفريقيا.
- ويمكن القول أن المسرح الجزائري عرف اتجاهين هما: مسرح شعبي استخدم اللهجة العامية أداة للتعبير، والآخر اعتمد الفصحى في تبليغ رسالته ومثلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهما وإن اختلفا في أداة التبليغ، إلا أن مرادها كان واحدا، وهو توعية الشعب الجزائري".¹

¹- المرجع السابق، ص 220.

ب- الموضوعات التي عالجه الفن المسرحي الجزائري :

يجد المتصفح المسرحيات الجزائرية، أن موضوعها كان يدور أساسا، حول ضرورة النضال السياسي، وإبراز هوية وتاريخ الشعب الجزائري.

نجد الموضوعات التاريخية في المسرح الجزائري كان المقصد منها، ربط الماضي بالحاضر لأن أمة لا ماضي لها لا مستقبل لها، لذلك سعى الاحتلال إلى محاولة محو تاريخ الشعب الجزائري، لكنه رجع بخفي حنين بفضل ثلة من كتاب المسرح وغيرهم، الذين قاموا بأعمال مسرحية تذكر الجمهور بالماضي التليد لهذا الشعب.

من نماذج المسرحيات التاريخية: مسرحية "يوغرطة" لعبد الرحمان ماضي، مسرحية "حنبل" لأحمد توفيق المدني، مسرحية "الخنساء" لمحمد صالح رمضان، مسرحية "بلال بن رباح" لمحمد العيد آل خليفة.

أما الموضوعات الدينية، فكانت تهدف لربط الشعب الجزائري بدينه، ومحاربة الخرافات، ودارت في أغلبها ومثلت في ذكريات المولد النبوي الشريف، ومن نماذج هذه المسرحيات مسرحية "الناشئة المهاجرة"، لمحمد صالح رمضان، والتي يدور موضوعها حول الهجرة النبوية، مسرحية "المولد النبوي" لعبد الرحمان الجيلالي¹.

بناء على ما سبق فإن هذه المسرحيات، كانت دعوة إلى الشعب من أجل الأخذ بأسباب النهوض، والذود عن العقيدة والبلاد.

¹ - عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 224-229..

نشير هنا إلى أن المحاولات المسرحية السالفة الذكر، كانت تكتب بالفصحى، أما المحاولات المسرحية التي عالجت الموضوعات الاجتماعية، فكانت أدواتها اللهجة العامية وكان غرضها "إصلاح المجتمع وتدعوا إلى التحرر من سيطرة الماضي... كما أنها تهاجم المساوى التي غزت البيئة الجزائرية".¹

حظيت الموضوعات الاجتماعية، باهتمام الكتاب لأنهم كانوا أحرص الناس على علاج هذه المشاكل الاجتماعية وتطويرها، بغض النظر عن الاداة المستخدمة في توصيل المعنى، لأن الهدف كان أسمى.

نذكر أخيرا أن أحمد رضا حوحو، هو الوحيد الذي تطرق إلى الموضوعات الادبية، في كتاباته المسرحية، مثل: " أدباء المظهر"، " الأستاذ".

¹ - المرجع السابق، ص 228.

ثالثا: فن الرسائل

يعرف أحمد الهاشمي في جواهر الأدب للرسائل بأنها " مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها ترجمان الحنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره، ورباط الوداد مع تباعد البلاد"¹.

نستنتج أن الرسائل تكتب حسب حاجة الناس إليها، وهي ترجمان لمشاعرهم ولأحوالهم، تقرب البعيد وتحاكي مشاكل الناس وتعبّر عن واقعهم.

عُرف هذا الفن منذ عصر التدوين، نظرا لحاجة الخلفاء لتبليغ الأوامر للولاة وقادة الجند، وعلى هذا الأساس حاول الكاتب أن يجعل " أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغته ومحتواه بحيث تبرز فيه شخصيته وأصالته وطريقته الخاصة في التعبير"².

إذن فالأمر كان على نحو من التنافس بين الكتاب، لنيل الرضا والخطوة من الخلفاء وبعد ذلك طبعا جزيل العطايا والهدايا...، ونتج عن هذا التنافس، ان تميزت الرسائل ببعض المميزات من بينها " الملائمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة وبالسجع بوجه خاص، ومراعاة الفواصل بهدف إحداث المتعة الأدبية أو إظهار البراعة اللفظية"³.

يجب أن تتوفر في كاتب الرسالة صفة فنية منها، الملائمة بين الموضوع والأسلوب، وبراعة الاستهلال، لأنه أول ما يقع على الأذن، وحسن التخلص والعناية بالخاتمة، لأنها آخر ما ينطبع في الذهن.

¹ - أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقق: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف،

بيروت، (دط)، ج1، 1969، ص44.

² - عبد الله الركبي: المرجع السابق، ص34.

³ - المرجع نفسه، ص34.

ظلت الرسائل على هذا النحو حتى عصر الانحطاط، الذي تراجع فيه الأدب العربي وضعف فيه في النثر الجزائري، بشتى فنونه كغيره من الآداب العربية الأخرى.

عموما في النثر الجزائري الحديث يمكن التمييز بين اتجاهين في الرسائل من ناحية الأسلوب:

أ. الاتجاه الأول:

يظهر فيه الكاتب متأثرا في رسالته بالقدامى شكلا ومضمونا، كما تظهر فيه عواطف ومشاعر الكاتب، وتمكنه من ناصية اللغة، يمثل هذا الاتجاه "حمدان خوجة"، في رسالته كتبها إلى شيخه في المملكة المتحدة، يقول فيها: "الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم" سعدت إذ سعدت بك الخليفة واستنارت، إذ كنت مظهر أنوار الشريعة والحقيقة وقابلك باليمن دهر وختم بمعاليك كمالاته، وواجهك وجه السعود إذ توجك أنفس هالاته، فكنت يمين اليمن، والبركة وقدره السكون والحركة"¹.

يلاحظ القارئ لهذا المقتطف عناية الكاتب بجمال الصياغة والبيان، وانتقاء الكاتب للألفاظ والتراكيب، كدأب الرسالة التقليدية في الأدب العربي، كأن كاتبها لا يعيش في عصر الانحطاط، وفي ظل الاحتلال.

ب. الاتجاه الثاني:

نلاحظ فيه اختفاء السجع وألوان البيان والبديع، وما وجد فإنه ليس مقصودا لذاته، والهدف في هذه الرسالة تبليغ الفكرة ببساطة وسهولة.

¹ - المرجع السابق، ص34.

يمثل هذا الاتجاه الأمير عبد القادر، في رسائله إلى جنرالات فرنسا وحكامها، يقول في احد رسائله إلى الجنرال "بيجو" حين عرض عليه الصلح، يقول: " إلى حضرة الجنرال بيجو، أما بعد، فقد وصلني كتابكم، واحتطت به علما، فذكرتم أن دولة فرنسا أمرتكم بإجراء الصلح إن أمكن وإلا فاستعمال السيف، مع أن فرنسا، تعلم أنني أشد الناس رغبة في حصول العافية، وأشدهم بغضا لسفك الدماء بدون موجب شرعي، فإن ساعدت العناية الإلهية على إجراء هذا الأمر على يدكم فهو دليل على صفاء طوبيتكم لعباد الله تعالى وصدق خدمتكم للدولة والشعب معا، فانظروا ما ترغبون فيه، وأخبروني به على الفور بواسطة رسولي إليكم حتى أنظر فيه."¹

نلاحظ أن أسلوب الأمير مباشر، ولغته سهلة بسيطة، لا تكلف فيها، تخلوا من الصور البيانية والمحسنات البديعية، إلا ما ورد عفوًا، وهذا بسبب الوضع المتردي للحياة الفكرية نتيجة سياسات الاحتلال.

هذا الأمر لم يستمر طويلا، فقد عرف فن الرسائل طفرة نوعية عقب تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة (1931م)، وذلك بفضل جهود رجال الحركة الإصلاحية، الأمر الذي ساعد على انتشار الثقافة العربية، وتطورت فنون النثر في الجزائر، سواء من حيث الأسلوب أو من حيث المحتوى، الأمر الذي انعكس بالإيجاب على فن الترسل، في النثر الجزائري الحديث، فكان أسلوبه بعيدا عن التعقيد، يتناول الموضوعات مباشرة، والأديب يميل إلى عملية تجميل الرسالة بأنواع البيان والبديع بين الفنية والأخرى.

¹ - محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ج1 - ج2، ط2، 1964، ص268-269.

نذكر من نماذج هذه المرحلة رسالة البشير الإبراهيمي كتبها بأرض الكنانة، وأرسلها إلى رفاقه من رجال الحركة الإصلاحية بالجزائر، حملت عنوان: " تحية غائب كالأديب" يقول فيها: " حَيِّ الْجَزَائِرِ يَا صَبَا، وَحَمِلِ إِلَيْهَا مِنِّي سَلَامًا تُبَارِي لَطَافَتَهُ لَطَافَتِكَ وَتُسَاوِي إِطَافَتَهُ إِطَافَتِكَ فَقَدِيمًا حَمَلَكَ الْكِرَامَ الْأَوْفِيَاءَ مِثْلَ هَذِهِ التَّحِيَّةِ إِلَى مَنْ يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ أَوْ مَا يُكْرَمُ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَتْهَا رُوحًا، وَأَدَيْتَهَا بُوحًا، وَأَعْلَنْتَهَا شَذَى وَفُوحًا، وَكُنْتُ بَرِيدَ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَرْوَاحِ، بِالْفَاظِ غَيْرِ مَكْتُوبَةٍ وَمَعَانٍ غَيْرِ مَكْتُوبَةٍ... فَكَأَنَّكَ كُنْتَ لَهُمْ مَحَطَّةَ إِرسَالِ وَإِسْتِقْبَالِ مَعًا، يُحْمَلُونَكَ الرِّسَائِلَ تَخِيلاً وَيَتَلَقَّوْنَ أَجْوِبَتَهَا إِحْسَاسًا... أَدِّ التَّحِيَّةَ عَنِّي لِلْجَزَائِرِ الَّتِي غَدَّتْ وَرَبَّتْ، وَأَنْبَتَتْ الْقَوَادِمَ فِي الْجَنَاحِ، وَأَسْلَفَتْ الْأَيْدِي الْبَيْضَاءَ وَأَسَدَّتْ الْعَوَارِفَ الْعُرَى، وَأَشْرَيْتَ مِنَ الطُّفُولَةِ حُبَّ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ وَأَخَذْتَ بِالْيَدِ إِلَى رِيَاضِيَهُمَا... وَفَتَحْتَ الْقَلْبَ لِأَكْمَلِ دِينِ جَمَعَ الرُّوحَ وَالْمَادَّةَ، ثُمَّ أَوْرَثْتَ فِيمَا أَوْرَثْتَ مِنْ مَائِرِ الْعَرَبِ وَفَضَائِلِ الْإِسْلَامِ أَنْفًا حَمِيًّا وَفُؤَادًا ذَكِيًّا، وَلِسَانًا جَرِيئًا، وَهَمَّةَ بَعِيدَةً..."¹.

بعد افتتاحية الرسالة المفعمة بالمشاعر الفياضة، والشوق ومعاناة البعد والغربة، يحيي الإبراهيمي الجزائر ويعدد فضائلها عليه، في نشأته وتربيته وتعلمه...

يمكننا أن نقول أخيرا، أن رجال الإصلاح في الجزائر كان لهم الأثر الطيب في تطور فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث، شكلا ومضمونا.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط1، 1981، ص 483-482.

رابعاً: فن المقال:

مع بدايات النهضة العربية الحديثة، ظهرت أنماط نثرية جديدة، استطاعت أن تستوعب الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر، ومن بين هذه الألوان الجديدة نجد فن المقال.

اختلف مفهوم المقال بين النقاد لتداخله مع الفنون النثرية الأخرى، وقد حاول "محمد يوسف نجم" إعطاء تعريف جامع للمقال، فهو حسب "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"¹، إذن فمعيار الصدق شرط أساسي في المقال للتأثير المباشر في عقول القراء، ويتنوع المقال بحسب الموضوع المتطرق إليه فمنه: السياسي والاجتماعي... ويتسم المقال بالدقة والموضوعية وأسلوبه المباشر.

عوامل ظهور المقالة في الجزائر:

ساهمت الصحافة وحركة الترجمة للنصوص، في ظهور المقال إضافة إلى اتصال الكتاب الجزائريين بنظرائهم المشاركة، ومحاولتهم محاكاتهم في طريقة الكتابة والمعالجة.

كذلك لا يمكن إغفال نشاط الحركات السياسية والجمعيات، خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنظرائهم، وتعتبر هذه الفترة من أرقى فترات نشاط المقالة بأنواعها، فاتخذها الأدباء والكتاب مطية للتعبير عن آرائهم بكل حرية " ينشرون ما يعن لهم من أفكار وما تجود به قرائحهم من موضوعات كانوا يحاولون تدريجها بأسلوب راقٍ"².

¹ - محمد يوسف نجم: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1966، ص95.
² - عبد المالك مرتاض: فنون النشر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ص85.

يلعب المقال دور بارزاً في إيقاظ الشعوب وبث الوعي في نفوسهم، وتنقيف الجماهير وإقناعهم بالحجة الدامغة بغية تحقيق أفكارها وأهدافها المنشودة.

هناك أنواع كثيرة من المقال ظهرت في النثر الجزائري الحديث، كما سار المقال مسارات متباينة، تبعا لاتجاهات الكتاب وانتماءاتهم الفكرية، ومن ثم برز الاختلاف في أساليبهم، من حيث التقليد والتجديد في المعالجة، برز الاتجاه المحافظ وأسلوبه تقليدي مباشر، لغته متكلفة جامدة، ومثل هذا الاتجاه الفئة التي درست في الزوايا، ومراكز الطرق الصوفية، وُجد أيضا الاتجاه الإصلاحى المتأثر بالثقافة العربية وتراثها، ونهضتها الحديثة في شتى الميادين، وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين من كتاب المقالة.

أ/- النوع الذي اهتم بالفكرة فقط وحاول توصيلها بأسلوب صريح مباشر، مع الاهتمام باللغة من حيث مفرداتها وقدراتها على تبليغ الأفكار، والعناية النسبية ببعض خصائص الأساليب العربية، والبيان العربي دونما اهتمام كبير بجمالية التعبير، لأن الهدف عندهم لم يكن هو اللذة الأدبية.

هذا النوع هو الأكثر شيوعا في النثر الجزائري الحديث، ويتصدره رجال الحركة الإصلاحية مثل: "الشيخ عبد الحميد ابن باديس"، "العربي التبسي"، "الطيب العقبي"، "مبارك الملي"، إضافة إلى كتاب المقال السياسي مثل: "أحمد توفيق المدني"، "عبد الحميد ابن باديس"، "الشيخ الإبراهيمي"، "عبد الحميد مهري".

ب/- النوع الذي اهتم بالفكرة والتعبير معا: نميز بين شكلين منه:

الأول: هو الذي لائم بين الفكرة والأسلوب العربي التقليدي، والبلاغة العربية، ويمثله محمد البشير الإبراهيمي.

الثاني: هو الذي حاول التجديد في الصياغة والمحتوى معا، ويمثل هذا التيار رمضان حمود، أحمد رضا حوجو، شعارهم تجديد دون كفر بالقديم. نلاحظ أن القضايا التي شغلت الشعراء، شغلت أيضا أصحاب النثر فكلاهما هاجم رجال الطرق الصوفية، وكلاهما اهتم بالدين والإصلاح وتطرقا إلى الآفات الاجتماعية، وقضية العروبة.

من المقالات المتميزة ذات الأسلوب الأدبي الواضح، مقالة "الشيخ البشير الإبراهيمي" التي كتبها بمناسبة أحداث 08 ماي 1945م، يقول فيها: "يوم ليس بالغريب عن (رزانة) الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن، فكَم لَهُ من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يجعل عن قصد خِتَامًا لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قَاسَمَهُم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها، يا يوم... لك في نفوسنا السمّة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أي سنة فأنت 08 ماي وكفى، وكُلُّ مَالِكَ علينا من دينٍ أن نحي ذكراك، وكُلُّ ما علينا من واجبٍ أن ندون تاريخك في الطُروس، لئلا يمسحَهُ النسيان من النفوس".¹

يتجلى لنا أسلوب البشير الإبراهيمي في هذا المقال أنه يميل لتوظيف ألوان البيان والبيوع، لذلك عدّه النقاد إمتدادا لمدرسة الصفة اللفظية.

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص369، 372.

خامسا: أدب الرحلة:

يعرف عمر بن قينة فن الرحلة بقوله: " هو لون أدبي ذو طابع قصصي، كما هو ضرب من السيرة الذاتية، في مواجهة ظروف وأوضاع، واكتشاف معالم وأقطار و وصفها والحكم عليها وعلى المجتمع فيها، فهذا الأخير وصف لكل ما انطبع في ذهن الرحالة، وفي احتكاكه بالمحيط يعتمد الواقع والخيال وأسلوب القصص، والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية، وقد مارس العرب الرحلة في الجاهلية للتجارة، لكن بعد الفتوحات الإسلامية إزدادت الحاجة إليها لمعرفة البلدان والمسالك والمحطات، وأحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية، والأوضاع السياسية وغيرها".¹

نستنتج من هذا المفهوم أن النص الرحلي يُعد مصدرا للمعلومات الجغرافية والتاريخية كما انه نص مفتوح يسمح بدخول عدة أجناس أدبية.

عُرف هذا الفن عند العرب منذ القدم، واشتهر فيه رحالة كثيرون، أما في الجزائر فقد عرف نشاطا في القرن 18، مع ظهور الطباعة فظهرت نماذج عديدة تناول أصحابها موضوعات مختلفة من أمثلة ذلك: رحلة ابن حمادوش الجزائري 1120هـ، المعنونة بـ "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب، والحال"، كانت وجهتها المغرب، وحملت معلومات مفيدة، سياسيا، اقتصاديا، ثقافيا، اجتماعيا عن الجزائر والمغرب.

الرحلة الورثلانية، نسبة للحسين بن محمد السعيد الشريف بعنوان " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، هدف الرحلة هو الحج وطلب العلم، وصف فيها

¹ - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخها، أنواعها، قضايا، أعلامها)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1995، ص98-99.

الكاتب طريقه وصفا مفصلا، من الجزائر إلى ليبيا ثم مصر فالجزيرة العربية، وبالتالي عكست رحلته أوضاعا مختلفة في الوطن العربي، اقتصادية واجتماعية وسياسية، اضافة طبعا إلى الجانب الديني.

رحلة أبوراس الناصري، عنوانها " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" بدأ رحلته من معسكر ثم قسنطينة ثم فاس، وبعدها حط الرحال بتونس، ليخرج إلى أرض الكنانة، ومنها إلى أرض مهبط الوحي، تحدث في رحلته عن المدن التي زارها، أو توقف بها في رحلته إلى الحج، كما تحدث عن العلماء الذين التقاهم في مختلف الأقطار العربية.

رحلة "الحاج بدر الدين الأغواطي" المعنونة بـ "رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، إنطلق فيها من الأغواط إلى مالي، ثم تونس فالسعودية، وهذه الرحلة كانت بطلب من القنصل الأمريكي في الجزائر، وهي رحلة غلب عليها الجانب الجغرافي الاستطلاعي، عن مواقع مدن ولغات وعادات.

رحلة سليمان بن صيام إلى فرنسا، وكان الغرض منها الإشادة بسياسات فرنسا وحضارتها في العمران، وما تدعيه فرنسا من أخوة مساواة وحرية...، فغلب على تعبيره في رحلته الدهشة والإعجاب بصورة فرنسا، والانبهار بالحياة الفرنسية.¹

هذا عن القرن 19، أما في القرن 20، فإن فن الرحلات قد اختلف عما سبقه هدفا واتجاها، وبدأ ينتعش بالحس الوطني القومي والسياسي، خاصة بعد ظهور الحركة الإصلاحية، التي اتجه أدياءها داخل وخارج الوطن، بغرض بث الفكرة الإصلاحية.

¹-المرجع السابق، ص100، 116.

لعل أبرز شخصيتين في هذه الفترة هما عبد الحميد ابن باديس وأحمد توفيق المدني مما جاء في تنقلات ابن باديس قوله: "عرفتني تنقلاتي في بعض قرى ما في قلوب عامة المسلمين الجزائريين من تعظيم للعلم وانقياد لأهله، إذا ذكروا بحكمة وإخلاص.¹

أما أحمد توفيق المدني، فتعددت رحلاته إلى الدول العربية، والأجنبية بحكم مسؤولياته في جمعية علماء المسلمين، وبدأ ذلك في جبهة التحرير الوطني...، وذلك حشداً للدعم المادي والمعنوي للقضية الجزائرية ودون هذه الرحلات بأسلوب أدبي جميل.

نورد نموذجاً لأدب الرحلة في هذه الفترة، لأحد رجال جمعية العلماء المسلمين "حمزة بوكوشة"، نشرت بجريدة البصائر في أبريل 1984، الذي قام برحلة إلى المغرب سماها "أربعون يوماً بالمغرب"، يصف الكاتب الدار البيضاء، وكرم تجارها يقول: "الدار البيضاء مركز تجاري عظيم لا نظير له بالشمال الإفريقي...، والمسلمون ينشغلون بالتجارة، ومن بينهم تجار بمعنى الكلمة...، إذا جلست حيث يجلس التجار بالدار البيضاء فإنك تسمع المليار يتردد في المجالس، وبجانب ذلك تسمع أن فلانا بنى مدرسة حرة تكلفت عليه بثلاثين مليوناً...، فأين أغنياء الجزائر من أولئك الصناديد".²

يبدو الكاتب منبهاً بمدينة الدار البيضاء، ومن حجم التبادلات المالية الكبير قياساً إلى وقته، كما يظهر معجباً بالتجار هناك، إذا أنهم سخرُوا أموالهم في المشاريع الخيرية، ويدعوا أغنياء الجزائر إلى الاقتداء بتجار الدار البيضاء الصناديد كما وصفهم.

¹- عبد الحميد بن باديس: آثاره، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، ج4، ط1، 1985،

ص225.

²- عمر بن قينة: اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط7، 1995، ص13

سادسا: الخطابة

تعد الخطابة من أقدم الفنون النثرية عند العرب، وهي "أشد الألوان الأدبية إلتزاما، لأنها تهدف إلى التأثير والإقناع، معبرة عن عقيدة الخطيب، ورأيه في مشكلات الوجود.¹

إذن فالخطابة فن أدبي يعالج قضايا كثيرة، يهدف للتأثير في الجماهير وتغيير سلوكهم وعواطفهم وتتكون الخطابة من ثلاث عناصر هي الخطيب، الجمهور المتلقي، الموضوع، ازداد تطور الخطابة بعد انتشار الدعوة الإسلامية، لأنها كانت لسان حال الدعوة ليستمر هذا اللون في التطور في العصرين الأموي والعباسي، وبعد اختلاط العرب بالعجم تأثر اللسان العربي، وانعكس سلبا على فن الخطابة، فأصبحت تقليدا ومحاكاة للأقدمين، أكثر إبداعا وتجديدا، خاصة من ناحية الشكل.²

ضعفت الخطابة المناسباتية في نهاية العصر العباسي، ونشطت الخطابة الدينية بشكل كبير في المساجد، تميزت هذه الأخيرة بالافتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على شاكلة القدماء، ساعد على انتشار هذا النوع، أحوال المجتمع العباسي وتضييع حقوق الرعية، فعمد الوعاظ إلى نصح الخلفاء بأسلوب سهل وألفاظ واضحة لا غموض فيها.

سمة التقليد هذه طغت أيضا على فن الخطابة في الجزائر في الفترة العثمانية، وبعد الاحتلال الفرنسي، حتى ظهور الأمير عبد القادر الذي بعث الخطابة من مرقدتها، وكانت الحاجة لها ملحمة للدعوة للجهاد، والدفاع عن الوطن وشحن العزائم، ومن جهة أخرى واجب حفظ اللغة العربية من الإندثار.³

¹ - إيليا الحاوي: فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، (دط)، 1997، ص8

² - عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، ص14.

³ - عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ص 277-280.

لعبت ظروف الاحتلال دورا كبيرا، في نشاط فن الخطابة، فالخطيب كان بحاجة إلى دعوة الناس إلى مواجهة الاحتلال بأسلوب حماسي موجز..

- يمكن تعداد خصائص الخطابة في هذه الفترة في النقاط التالية:

خاصية الحماسة وذلك من أجل تحفيز الشعب على الجهاد، للدفاع عن الأرض والعرض غلبة الجانب الديني على الخطب، مثل قول الأمير عبد القادر في إحدى خطبه: "أما بعد: فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾¹ "2.

إذن أن البداية بالقرآن تبعث في النفوس الإقدام، والقتال حتى الاستشهاد، نجد أسلوب الخطيب واضح لا تكلف فيه، لأن التركيز منصب حول الفكرة، وتحررت من السجع إلا ما جاء عفوا.

تدهورت الخطابة بعد الأمير عبد القادر، بسبب سياسات الاستعمار، التي كانت ترمي إلى طمس أداة الإبداع (اللغة العربية)، وانحصرت الخطابة في المساجد والزوايا، إلى غاية ظهور الحركة الإصلاحية.

دبت الروح في فن الخطابة، نتيجة بروز الصحافة وانتشار الوعي السياسي بفضل نشاط الأحزاب السياسية، إضافة إلى الحراك الفكري والثقافي.³

كانت الأحزاب في حاجة إلى نشر مبادئها وأفكارها في أوساط الشعب، وهذا لا يأتي إلا عن طريق خطباء بلغاء.

¹- التوبة: 123.

²- محمد السيد علي الوزير: الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، (دت)، ص28.

³- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ج3، ط1، 1992، ص86.

سعت جمعية العلماء المسلمين إلى بث أفكارها الإصلاحية عن طريق الصحافة عبر خطباء فصحاء أمثال: ابن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقي...، الأمر الذي ساهم في إحياء الخطابة.

كما عُرفت الخطابة عند المصلحين عُرفت أيضا عند السياسيين مثل: خطباء حزب الشعب وزعيمه مصالي الحاج وغيره.

غلب على خطب المصلحين الوعظ الديني والإرشاد، بينما امتازت خطب السياسيين بالحماسة، والهجوم على الاستعمار.

نورد في هذا الصدد خطبة للشيخ عبد الحميد ابن باديس، وهو يتحدث عن أعداد الجمعية، يقول: "فأما الذين استغربوها فهم طائفة من السذج يقيسون الحقيقة الإنسانية بوجودهم ويقيمون التاريخ الإنساني ببيت بجمع زوجا وزوجة وأولادا يفرقهم الصباح للكدر على القوت ويجمعهم المساء للنوم تحت السقف.

ومن وسائلهم الأمل ولو بلا عمل، كانت نقطة في الدين تحتاج إلى شيء اسمه جمعية العلماء المسلمين.¹

انتقد "ابن باديس" أولئك المثبطين، من أعداء الجمعية الذين رضوا بالواقع على مرارته ولا يتطلعون إلى الغد المشرق، الذي تنشده جمعية العلماء المسلمين، وأسلوب ابن باديس واضح لا تكلف فيه، كما أنه يحفل كثيرا بالبيان والبديع، وما ورد كان عفواً الخاطر، فهو يركز على توصيل الفكرة الإصلاحية من أقرب طريق.

¹ - عمار الطالبى: ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة، ج1، ط2، 1983، ص26.

وجد أيضا خطباء ذو عارضة في الخطابة، مثل: "الشيخ الإبراهيمي"، "العربي التبسي"، "الطيب العقي"، "أحمد توفيق المدني"...، وغيرهم من رجال الإصلاح والسياسة استطاعوا أن يبلغوا أفكارهم التحررية عن طريق الخطابة، قصادى القول، فإن النثر الجزائري الحديث، صور واقع المجتمع والقضايا التي عاشها الكتاب على مدى قرن ونصف، ونقل إلينا ما يلقي الضوء على المراحل التي مر بها المجتمع الجزائري، والصراعات المختلفة التي ظهرت في البيئة الجزائرية، وسجلت نظرة الأدباء إليها، بحيث يمكن أن تعتبر نصوصه شاهدة على هذا الماضي الطويل الذي عاشه الشعب الجزائري، وعكس أيضا فرحة الشعب وأحلامه أيام الثورة وبعد الاستقلال.

سابعا: السيرة الذاتية

ليست الترجمة الذاتية حديثا ساذجا عن النفس، ولا هي تدوين للمفاخر والمآثر، وإلا ما كنا لنستسيغها ونجد فيها متعة عميقة، لأن كاتبها أراد أن يوجد رابطة بيننا وبينه وأن يخبرنا عن تجارب حياته، وأخباره ومشاهداته إلى غير ذلك.

هاهو "المدني" يُعرفنا بنفسه وأين نشأ؟ وكيف كانت قابليته للعلم؟ ومن شيوخه؟ والبلاد التي زارها متنقلا؟ ... يقول " في « إحدى الديار العربية التي يرجع عهد بنائها إلى العهد الحفصي الأخير بنهج الناعورة "رقم 4" وهو الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التريبونال، ولدت يوم 01 نوفمبر 1889م موافق لـ 24 جمادى الثانية سنة 1317هـ، سليل عائلتين من كرام المجاهدين الجزائريين »¹.

ثم يخبرنا "المدني" عن مرحلة الصبا، يتساؤل ويقول « وهل كانت حقا صبيبا؟ إنني لفي شك من ذلك مريب، لقد كانت الحياة في منزل فخم، جمع الأب، الأم، الإبن، حياة ناعمة سعيدة، لم أكن ألعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لخطهم وصراخهم، وما يقولونه من بذيء الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى، وأسأل أمي عنه، فتراوغ في الجواب، وتقول لي: إياك أن تختلط بالزوافرية أو أن تتعلم من كلامهم شيئا، إنهم أبناء الشياطين، ومأواهم النار وبئس المصير»².

نلاحظ أن "أحمد توفيق المدني" نشأ في أسرة محافظة ميسورة الحال لم تكن طفولته كأقرانه من لعب ولهو ومرح، بل كانت نصائح أمه هي التي توجهه.

وعن مرحلة شبابه، والعلوم التي نهل منها، يقول: « نحن الآن في مفتتح السنة الدراسية لعام 1913م، وقد انتهت دراستي بالمدرسة القرآنية الأهلية، وخرجت ملء

¹ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مج2، الجزائر، 2008، ص33.

² - المصدر نفسه، ص 39.

الوطاب بتلك العلوم التي كان يبيثها فينا أساتذة جلة، هم خير الأساتذة، وتلقينا بعمق واتساع علوم الدين، والنحو والصرف والبلاغة والرياضيات والكيمياء والفيزياء الطبيعية ومبادئ اللغة الفرنسية، علاوة على ما اضطلعنا به، من دراسة القرآن الكريم مفسرا، وكنت خلال السنتين الأخيرتين خطيب المدرسة وكاتبها المبرز...، ودخلت الجامع الأعظم، جامع الزيتونة، ودخلت المدرسة الخلدونية...، وأما بجامع الزيتونة فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاص بي، لا أتقيد بصنف، ولا أشارك في امتحان كنت أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب، فاخترت لنفسي دروسا على جلة الأساتذة: كالشيخ "النخلي" في التفسير، و "الشيخ محمد يوسف" في البلاغة، و"الشيخ الصادق النيفر" في الفقه، والشيخ "محمد ابن القاضي" في النحو والصرف.

وكنت ألزم الدروس عشرة ساعات كل يوم، دون إنقطاع تبتدئ بعد صلاة الصبح، وتنتهي بعد أدائنا لصلاة العشاء مع ما يتخلل ذلك من حفظ لمختلف المتون ابن عاشر، الألفية، السلم، لامية الأفعال، الدرّة... إلخ»¹.

يبدو لنا "المدني" أنه نهل من علوم عديدة في الدنيا والدين وبرع فيها معتمدا في ذلك على برنامج دراسي مكثف، مما انعكس ذلك على إنتاجه الفكري الغزير.

كما يسرد لنا "المدني" ويصف مراحل حياته، ويتدرج في ذلك بطريقة في القص، وبأسلوب جميل وعاطفة كامنة في ثناياه، مشيرا في ذلك إلى قيم نبيلة كالإخلاص في طلب العلم وتوقيره للأساتذة الذين علموه، ما أحوجنا إلى مثل هذه القيم اليوم.

كما يثير فينا هذا المقتطف متعة الخبر الطريف، مثل مجموعة العصي التي وجدها في الكتاب، وهذا ينم عن تجربة صادقة.

¹ - المصدر السابق، ص 94،96.

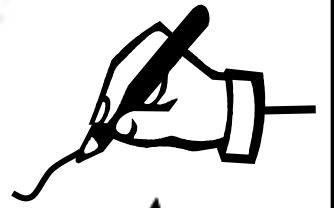
نتائج الفصل:

نستخلص مما سبق ذكره أن للفنون النثرية الجزائرية الحديثة نصيب كبير نبرز من خلالها ما يلي:

- ✓ النثر الجزائري الحديث قد تحرر منذ مدة مبكرة من الجمود والتحجر الذي سيطر على الأدب العربي في القرون الماضية.
- ✓ لعب المقال القصصي والصورة القصصية دورا بارزا، في نشأة وتطور القصة الجزائرية القصيرة الحديثة.
- ✓ عالج المسرح قضايا الشعب الراهنة في وقتها، وعلى الرغم من تعدد مواضيعه، (التاريخي، الاجتماعي، الثوري)، إلا أنه لم يلق الاهتمام من النقاد والدراسين.
- ✓ تطور فن الرسائل في النثر الجزائري الحديث، خاصة بعد قيام الحركة الإصلاحية التي أعطت دعما وأولية لهذا الفن النثري.
- ✓ عبر المقال في النثر الجزائري عن الواقع كما هو، وبين موقف الكاتب الجزائري منه، وغالبا ما كانت مواضيعه معالجة قضايا الشعب، وخدم المقال رجال السياسة والدين معا.
- ✓ صورت الرحلة على اختلافها في القرن 19 معالم ومواقف، وأكست كثيرا مما رآه الرحالة سواءً انفعلوا به أو وصفوه وصفا عاديا، كما اتصف بصفات منها الجغرافي، التاريخي...
- ✓ تأخر ظهور المسرح الجزائري، مقارنة بالفنون الأخرى، ومع هذا فقد أدى الدور الموكل له في توعية وتنقيف الشعب الجزائري.



الفصل الثاني



نماذج من الفنون النثرية
في كتاب حياة كفاف

أولا : الرحلة

ثانيا: الرسائل

ثالثا: المقال

رابعا: الخطابة

خامسا: السمات الفنية للكتابة عند "أحمد توفيق المدني"

تمهيد:

يُعتبر كتاب "حياة كفاح" (مذكرات)، بأجزائه الثلاثة التي قاربت في طبعة، دار البصائر 2008، الألفي صفحة، زبدة المسيرة النضالية "لأحمد توفيق المدني" على مستوى الجسد والفكر، مفكرًا ومؤلفًا وكاتبًا، تُوِّرقه قضايا أمته الإسلامية الكبرى.

وقد كتبه "المدني" بأسلوب أدبي راقٍ، وبلغة عربية جميلة، وظف في تأليف هذا الكتاب عدة فنون نثرية، (الرحلة، الرسائل، المقال، الخطابة، السيرة)، وهذا ما نسعى للكشف عنه في ثنايا هذا الفصل.

أولاً: الرحلة عند "أحمد توفيق المدني":

تعددت رحلات "أحمد توفيق المدني" وكان انتاجه غزيراً، فقد حرك قلمه في مواقف عديدة، وفي مناسبات مختلفة، وتميزت في عمومها بالطابع السياسي القومي.

ابتداء من أول رحلة سياسية له إلى المغرب سنة 1955م، بمناسبة عودة الملك المغربي (محمد الخامس) من منفاه، نشر الكاتب رحلته بعنوان «ولسوف يعطيك ريك فترضى» وهو عنوان مقتبس من آية قرآنية كانت تحت صورة الملك في المطار.

قام "المدني" بهذه الرحلة لتهنئة الملك ضمن وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين¹، فوصف فرحة الشعب المغربي، وهو ما أسماه "الحقيقة المغربية الجديدة" التي هي «شعب حر ناهض، شاعر بحقوقه و واجباته..»، وقام بعد كبت طويل يريد أن يأخذ منها حقه كاملاً غير منقوص، ويريد أن يسير مع ركبها لا في المؤخرة².

يبدو لنا جلياً أن "المدني" اعترز كثيراً لنضج الشعب المغربي الذي آمن بحقوقه ومشيدا بصحوة ضميره، فقام بعد سباته الطويل للمطالبة بحقوقه كاملة غير منقوصة، عازماً على السير في الركب الحضاري، بدأ رحلته بوصف مشهد المطار، الذي كانت ساحته تعجّ بالبشر لاستقبال الملك، يقول عن ذلك «وأشهد أنني لم أر في حياتي شعباً قد أطلق لحبوره وسروره العنان في دائرة الأدب والوقار والاحتشام كما أطلقه الشعب الأدبي في ذلك اليوم، فقد أمّت مدينة الرباط مئات الآلاف من سيدات المغرب ومن سادته³».

¹ - عمار بن قينة: اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط7، 1995، ص 190.

² - أحمد توفيق المدني: حياة كفاف، دار البصائر، ج3، الجزائر، 2008، ص 74-75.

³ - المصدر نفسه، ص 76.

يتجلى لنا مدى إشادة وإعجاب المدني بالفرحة العارمة التي رسمت على وجوه المغاربة احتفالاً بعودة الملك من المنفى، ثم يصف وهو في طريقه من المطار إلى الرباط الفرحة التي رآها في عيون الجماهير يقول: « والعيون الناظرة؟ هل رأيت العيون الناظرة؟ ».

لقد كنت طوال الطريق أهدق في أعين الذين يحيطون بنا وقد أطلقوا العنان لسرورهم ولحبورهم، فأول ملاحظته وأول صورة ارتسمت على صفحات قلبي فوق تلك الأرض التي صهرها النضال وطهرها الكفاح، هي تغير نظرات القوم، إني والله، لقد تغيرت حتى أصبحت تكاد ترى فيهم خلقاً جديداً نشأ في عالم الحياة نشأة أخرى»¹.

ثم ينتقل "المدني" ليصف مدينة الرباط ليلاً قائلاً: « وقد أصبحت كلها كتلة من نور فوق كتلة من نور، حول كتلة من نور، نور الكهرباء، نور الوجوه ونور الضمائر الطاهرة...، ان لم تكن تلك هي ليلة القدر التي بشر الله بها في القرآن المجيد، فهي لا ريب ليلة القدر السياسي في المغرب العربي وقد فصل الله بها بين عهدين: عهد الاستعمار الذي مات، وعهد التحرير الرافع للرايات»²، شبه " أحمد توفيق المدني" الأجواء المنيرة ليلاً في الرباط، ونور الوجوه والضمائر بنور ليلة القدر المباركة، وتكمن قيمة هذه الليلة في كونها فيصلاً بين الماضي المرير والغد المشرق.

لينتقل بعد ذلك إلى وصف وذكر عدد الحشود الهائلة حول قصر الملك يوم 18 نوفمبر يقول: « ما أكذب الصحفيين، ولا أبرئ نفسي، إن النفس لأمانة بالسوء، لقد قالوا إن مائتي ألف نسمة قد أهدقوا بالقصر صبيحة 18 نوفمبر، للإستماع إلى خطاب العرش...، فأستطيع أن أقول وأؤكد وأن أشهد أن هذا الحفل الخارق للعادة

¹ - المصدر السابق، ص 77.

² - المصدر نفسه، ص 79.

الذي امتدت مساحته فوق عشرات الآلاف من الأمتار المربعة لم تحضر فيه إلا شخصية واحدة فقط، لا غير هي شخصية الشعب المغربي»¹.

أشاد " المدني " بأجواء الحفل الرائعة أثناء خطاب العرش، فحصر عدد الحضور الغفير في كلمة معبرة وهي: شخصية الشعب المغربي.

ثم وصف لحظة دخول الملك « أشرفت طلعة الملك، فهل رأيت العظمة مجسمة وهل رأيت مطامح شعب وآمال أمة قد تمثلت بشراً سوياً»²، شبه "المدني" طلعة الملك وهي المشبه بالمشبه به الشمس التي تطلع وتشرق فحذف المشبه به الشمس وأبقى على لازم من لوازمها وهو الشروق على سبيل الاستعارة المكنية وقد جسدت المعنوي في صورة مادية محسوسة ووضحته ومثلته.

ليضيف بعد قليل وصف لخطاب الملك وحسن تأثيره في الناس ليقول « وبلهجة رصينة ونبرات قوية، وكلمات متزنة ألقى جلالة الملك خطابه التاريخي العظيم...، لقد كان الشعب تلك الساعة مغموراً بنوع من السعادة الجماعية التي قلما تأتت لأمة من الأمم...، وانتهى الخطاب الموفق في زمجرة شعبية رهيبية »³.

ثم ينقل لنا "المدني" بعد ذلك صوراً للجمعيات الثقافية والاجتماعية وغيرها، وهي تجوب مدينة الرباط كما ذكر استقبال الملك لوفد الجمعية، وذكر أيضاً صوراً من تضحيات الشعب المغربي في سبيل الحرية.

¹ - المصدر السابق، ص 80.

² - المصدر نفسه، ص 80.

³ - المصدر نفسه، ص 81.

- رحلته إلى إندونيسيا 22 مارس 1958م:

عن مناسبة الرحلة هي تكليفه من جبهة التحرير الوطني، لكون ممثلا لها بإندونيسيا بمناسبة يوم الجزائر، الذي حددته اللجنة الإفريقية الآسيوية يوم 30 مارس 1958م.

يتحدث "المدني" عن هذه الرحلة قائلا: " وصلت يوم 22 مارس 1958م، إلى جاكروطة بعد رحلة طويلة وشاقة على الساعة الثالثة صباحا، فنزلت لوحدي من الطائرة".¹

صادف أن كانت هذه الرحلة في شهر رمضان، يقول: "وكنا نصوم أياما اشتد حرها إلى درجة الخمسين إنما كنا نحتمل الصيام بما كنا نراه حولنا من مظاهر الإيمان التقليدي العجيب، إيمان العجائز حقا".²

قال عن الشعب الإندونيسي المسلم إنه " في مجموعة شعب لطيف، مسالم وديع جدا لكنه إذا تحمس ثار، وإذا ثار فعل المعجزات، أما إسلامه فيكاد يكون سطحيا، وأقوال صراحة إنه يُخشى على هذا الإسلام مع طوال الزمن، إذا استمرت الحكومة على سياسة اللامبالاة التي تسلكها معه...، أما عن موسيقى إندونيسيا فبدائية بحته، لا تكاد تطرق السمع حتى ينفر منها نفورا ذريعا، وأما المسرح، ولهم مسرح فأعجب ما أرويه هو أنه لا يُمثل إلا رواية واحدة فقط، ليس إلا: ابن أحد الملوك فرّ إلى الغابة فلتقاه بها نفر من الجن والعفاريت، عاش بينهم وعشق واحد منهم، ثم عثر عليه والده فأرجعه إلى القصر، هذه الرواية التي يحفظها الجميع".³

¹ - المصدر السابق، ص 540.

² - المصدر نفسه، ص 545.

³ - المصدر نفسه، ص 547.

نلاحظ على هذا المقتطف إبداعاً، في وصف المشاهد والثقافة الشعبية لإندونيسيا والخصال الحميدة، التي يتحلى بها الشعب الإندونيسي الأدبي والمسالم الذي قال فعل فلا يرضى بالظلم والقهر، أما عن إسلامه فيبدو أنه ليس مترسحاً ومتغلغلاً كثيراً في نفوسهم، بسبب سياسة حكومته غير المبالية بدينه.

- أحمد توفيق مدني في لبنان:

كانت هذه الرحلة في إطار رحلة عربية لحشد الدعم القضية الجزائرية، يقول عن لبنان: « بلد جميل، خلاب، خيراته لا تتضب، مضياف لمن يملك في جيبه رصيذا محترما من المال، وفيه شعب واعٍ مُنقسمٍ على نفسه إلى طوائف إسلامية، ومسيحية، ودرزية، والطائفة الإسلامية مُنقسمة إلى ستة أو سبعة أقسام، والمسيحية منقسمة إلى عدد من الطوائف والنحل، وكل فرقة من هذه الفرق تظهر لبقية الفرق الأخرى بادية الابتسام، ظاهرة الود، بينما ينطوي كشحها عن كراهية وبغضاء، وغل دفين، وللبنان نخبة عالمة أدبية طموحة غفيرة العدد، تتسابق سباقاً مضنياً نحو هدفين، لا أعرف ثالثاً لهما: المال والسلطة، ولبنان بلد الحرية المطلقة، الحرية التي تجعلك تكره الحرية، حرية في القول إلى درجة الإسفاف...، حرية في المعتقد، حرية في نوع من الإباحية خلعت كل ثوب للحياء، حرية في النشر إلى درجة أن الكتب الجنسية السخيفة الخليعة تناهز في عددها وفي محتواها ما ينشر في باريس، وهلم جرّاً»¹.

¹ - المصدر السابق، ص 522-523.

يصف لنا "المدني" جمال لبنان الخلاب، وشعبه المادي المتعدد المذاهب، وهذه المذاهب تُظهر الابتسامة والود، وتبطن الغل والحقد على بعضها البعض، ويؤكد مدى امتلاك لبنان لمجموعة كبيرة من الادباء والنخبة الطموحين نحو المال والسلطة، وينتقد الحرية المطلقة التي ليس لها حدود في القول والاعتقاد والنشر.

- المدني في بغداد:

كان ذلك قبل ثورة 14 يوليو 1958م، فيتساءل المدني « أين هي بغداد؟

أين هي بقايا مدينة الرافدين؟ لم أجد هناك يومئذ دار ولا دياراً، فهمت لأول وهلة، وبعد اجتماعات قليلة مع بعض الفضلاء، أن شعبا من العمالقة هم العرب حقا، هم الماجدون صدقا، هم الأباة سجية، فكيف يا ترى خضع هذا الشعب لأمثال "نوري السعيد" و "عبد الإله" و "فيصل" ومن حولهم ممن العناكب والحشرات؟ قال لي سرا الصديق الشهم فائق السامرائي: لا تنتظر إلى الخفافيش، بل أنظر إلى الذين يحركونهم في دهاليز الظلمات، أنظر إلى شركة نفط العراق، وأنظر إلى دار السفير الإنجليزي فهناك، وهناك فقط مأساة العراق، وحكم العراق ومال العراق»¹.

تساءل واستغرب "أحمد توفيق المدني" من خضوع الشعب العراقي الأدبي العظيم، لمثل هؤلاء العملاء الفاسدين الذين يرعون مصالح البريطانيين على حساب مصالح وفاهية شعبهم المضطهد.

- كأني "بالمديني" يصف حال العراق اليوم مع اختلاف الأسماء والألقاب.

¹ - المصدر السابق، ص 525.

كما كانت للمدني زيارة أخرى لبغداد بعد نجاح ثورة 14 يوليو 1958م، ووصفها بالزلزال، يقول في ذلك: « على حين غفلة، والناس نيام، زلزلت الأرض في بغداد زلزالا مروعا هائلا يوم 14 يوليو 1958م، فهوى الظالمون كجلمود صخر حطه السيل من عل، وسالت دماء الخونة المارقين ومُزقت أشلاءهم، و وُزعت عظامهم على المنتقمين تذكارا ليوم رهيب، وأصبحت لا ترى إلا مساكنهم المحترقة، وخرائبهم المحطية، فما أغنت عنهم شكة نفط العراق، ولا دافعت عنهم دوائر لندن، ولا بنوك نيويورك، إن الله يُمهّل ولا يُمهّل، وإن أخذ ربك لشديد».¹

شبه الكاتب الثورة العراقية 14-08-1958م بالزلزال المدمر الذي أطاح بالنظام العميل الخائن الذي لم ينفعه مال ولم ينصره سلطان، وهذا مآل الظالمين.

لكن الكاتب يصف الوضع وصفا سلبيا، يتسم بالفوضى عندما وصل بغداد قادما من دمشق يقول: "وصلنا، وذهلنا، واندھشنا، وطار صوابنا، لا أبالغ والله! كان المطار خاليا تماما، كان قفرا بلقعا: لا مدير ولا طيار ولا مرشد ولا كاتب، ولا عامل!.

حطت الطائرة بجهودها الخاصة، ونزلنا فجاءنا من بعيد جماعة من الجند يرقصون ويهزجون، يعرسون دون سوء ويصيحون بأصوات مختلفة: دار الخائن، فيجيبهم آخرون على الفور... محروقة! وخرجنا من حلبة الطيران إلى الطريق العام، دون أن نرى أحدا، أو يعترضنا أحد، وعثرنا على سيارة أجرة أخذتنا إلى فندق بغداد، وكاد أن يكون خاليا، ثم عثرنا على الحلقة التي هدتنا إلى بقية السلسلة، وأخذ القوم يتوافدون علينا تباعا. وفيهم من جاءنا بعظم من ساق نور السعيد وفيهم من جاءنا إي والله بقطعة من لحم عبد الإله، مملحة مقددة كأننا كنا من آكلي لحوم البشر، لا أما الثورة

¹ - المصدر السابق، ص 571.

فنعم، واما الانتقام من الظالمين فياحبذا، لكن ليس إلى هذه الدرجة من الوحشية والشناعة"¹.

إنها صورة مؤسفة عكرت صفوا الاحتفال بالثورة جزاء الانتقام الوحشي والتكثير بأجساد الظالمين الذين لا يقره عقل ولا دين.

وقصارى القول أنه كانت لأحمد توفيق المدني رحلات عديدة، إلى مختلف الأقطار العربية والأجنبية، كان الهدف وراءها حشد الدعم المادي والمعنوي للقضية الجزائرية، مع وجود اختلاف في التجاوب مع القضية من قطب إلى آخر.

هذا التنوع في رحلات المدني، أخرجته في قوالب يتآزر فيها الجانب التعليمي بالإمتاع الأدبي، واتسمت كتاباته في هذا الفن النثري، بالأسلوب السلس، والحس المرهف، ودقة الكلمات الممزوجة بروح التاريخ.

¹ - المصدر السابق، ص572.

ثانياً: الرسائل:

بعد دخول "أحمد توفيق المدني" التراب الجزائري مُبعداً من تونس، نتيجة لثورته، ونشاطه السياسي، وكتاباته الصحفية، انتقل من عنابة إلى قسنطينة، هذه الأخيرة منها يوم 09 جوان 1925م، رسالة عبر جريدة النجاح، هذا نصها:

"وداعاً ولكن إلى الملتقى.

أمّتي المحبوبة وشعبي الكريم، أبناء وطني المفدى.

رمت بحكومة الاحتلال خارج حدود الوطن، بدون حق ولا قانون رائمة بذلك إبعادي عن أمة كرسّت حياتي لخدمتها، وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل تحقيقها، وإخوان أحرار عاهدت الله على المسعى في إسعاد الوطن، إلى أن بلغ آخر سمة في الحياة.

وها أنذا الآن بعيد عن بلادي، وعن أهلي وأصحابي، بعيد عن مركز الجهاد السياسي ومنبع نور الحياة، حزبي الحر المقدس، ولقد استقبلني أهل القطر الجزائري الأبية كما يستقبل الأخ أخاه، وأكرموا الأمة في شخصي وبرهنوا على روح الأخوة الرابطة بين أهل القطرين الشقيقين، فلهم مني جميعاً الشكر العاطر والثناء الجميل.

وإنني أيها الشعب الكريم، أمّد لك من وراء الحدود، يد التضامن والوئام وأجدد معك العهد الوثيق، عهد الحرية المقدس، فلنكن جازماً بأنك يدي، وقلبي، وفكري، وقد وهبتك جميعها منذ نشأت، ستبقى من أجلك دائماً، عاملة مخلصاً ومفكرة، ولنتيقن أن الرجل الذي عرفته بالأمس هو نفسه الرجل الذي تعرفه اليوم.

حرّاً خلقت، وحرّاً أحياء، وحرّاً أموت

والى جميع أبناء الوطن المفدى، إخواني الأحرار الدستوريين، أقدم سلامي وتحياتي وكل عواطفى الأخوية المخلصة، وأودعهم مرغما، وأقول لهم: إلى الملتقى القريب.

قسنطينة 09 جوان 1925م

أحمد توفيق المدني

كاتب الحزب التونسي الحر¹

احتلت تونس في قلب "أحمد توفيق المدني" مكانة خاصة، لأسباب عديدة منها: أنها مكان ميلاده، إضافة إلى أنه عضو مؤسس في الحزب الدستوري التونسي صنف ذلك أن المدني كان يؤمن بوحدة المعزب الإسلامي، بل بوحدة الأمة الإسلامية من المحيط إلى الخليج، نلمس في هذه الرسالة الأحاسيس العميقة، ومشاعر الود التي يكنها المدني لتونس شعبا وأرضا، ويبدو أن تعلقه بتونس كان كبيرا جداً.

لذلك خصص العديد من المقالات للقضية التونسية بالشهاب وغيرها، ولم يترك مناسبة إلا وأبدى فيها تعاطفه مع القضية التونسية، وظل مدافعا عنها دفاعه عن القضية الجزائرية، فلا غرابة بعد ذلك أن يُنعت بخطيب القطرين، ومن القيم الإنسانية التي حملتها هذه الرسالة أيضا، المبدأ الثوري التحريري المناهض للاحتلال.

نذكر من النماذج التي تؤكد البعد الوجودي للمدني للشعوب المغاربية، موقفه من اضطهاد فرنسا للمغرب، ونفي الملك محمد الخامس إلى جزيرة كورسيكا، رسالة بعث إلى رئيس حكومة فرنسا هذا نصها:

"مسيو جوزيف لا ينال رئيس حكومة فرنسا باريس.

¹ - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق، ص 462-463

جمعية العلماء المسلمين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري الاحتجاج الصارخ العنيف على خلع جلالة السلطان محمد بن يوسف بصفة غير شرعية، إثر مؤامرة دبرها الاستعماريون، والخونة الصائدون في المياه العكرة، وتعلن أن وجهة النظر الدينية تعتبر هذا لغوا ومنافيا لأحكام الإسلام، إن الحكومة الفرنسية التي أشرفت على تنفيذ هذا العدوان وداست به مبادئ العدالة وحقوق الأمم، وتكررت لنصوص المعاهدات، قد أفسدت بصفة قطعية علاقاتها مع الإسلام ومع العالم العربي.

تسجل جمعية العلماء بغاية الأسى أن الهواة السحيقة بين فرنسا والإسلام تزداد كل يوم اتساعا وعمقا لغلطات الحكومة الفرنسية وبعدها عن فهم الحقائق.

عن جمعية العلماء المسلمين

الأمين العام: أحمد توفيق المدني¹

عبر الكاتب عن موقف جمعية المسلمين الجزائريين الراض للقرار الفرنسي بخلع الملك المغربي، معتبرة أن هذا الإجراء مناف لأحكام الدين الإسلامي، وفرنسا بمثل هذه القرارات الجائرة تزيد الهوية والقطعية بينها وبين العالم العربي والإسلامي.

أبرق "المدني" في نفس الوقت برسالة إلى الملك في منفاه، يقول فيها: « إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تستنكر بشدة وغضب ذلك الاعتداء الشنيع الذي دبرته ضد شخصكم السامي عصابة مركزية متخفية عن واجباتها، إن هذا الاعتداء المفزع يُعتبر ضربة موجهة نحو المبادئ الإسلامية الثابتة ونيلا من الكرامة الإنسانية وامتھانا لحرية الشعوب».

¹ - المصدر السابق، ص 565-566.

جمعية العلماء تعلن أن عملية الخلع غير شرعية ولا عمل عليها، إنما تؤكد في هذه المناسبة المؤلمة تضامن لمسلمين الجزائريين مع الشعب المغربي الأبوي ومع جلالته، وتقدر لكم الاحترام العميق وعواطف الولاء.

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الامين العام: أحمد توفيق المدني¹

احتلت القضية المغربية محورا هاما في كتابات المدني، ولم يفوت أي فرصة للتبديد سياسة الاحتلال في المغرب، مثل قضية نفي الملك "محمد الخامس" إلى جزيرة كورسيكا، ووصفوا مكانه "إمعة فاقد الهمة والشرف، وأكاد أقول فاقد الوعي والإدراك".²

عبر المدني عن موقفه المتعاطف والمناصر للملك، المناهض للسياسة الفرنسية ونظامها، الذي كان يرى فيه المدني أنه العدو المشترك لشعوب المغرب الإسلامي.

فالرجل حمل هموم المنطقة المغاربية، وسخر لأجلها قلمه و وقته، وتحمل في سبيل ذلك ما تحمل...

- رسالة المدني إلى الشيخ السيد "حمو بن أحمد":

زعيم ميزاب، وصاحب النفوذ الروحي الكبير فيه، ومناسبة الرسالة كانت عقب فتنة حدثت في غرداية بين المالكية والإباضيين، مما جاء فيها « الحمد لله وحده، إلى العلامة الجليل، الأمدج النبيل فخر ميزاب وبنراسها المنير سيدي الشيخ حمو بن أحمد، كان الله ولياً ونصيراً... »

إني أتقدم إليكم بسلام الله ورحمته وبركاته، وأكتب لكم هذا الرقيم...

¹ - المصدر السابق، ص 566.

² - المصدر نفسه، ص 565.

أنتم ترون يا سيدي الجليل أن مسألة الأذان في غرداية قد تقام أمرها وكبر شأنها...إنني أعتقد يا سيدي العلامة الجليل أن كلمة واحدة تخرج من أفواهكم لأهل غرداية تطفئ هذه النار، وتخمد هذه الفتنة...

والله يجازيكم على ذلك أحسن الجزاء ويحفظ لكم المسلمون في قلوبكم، أجمل الذكرى والسلام على سيدي الجليل ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام المخلص

أحمد توفيق المدني¹

يظهر المدني في هذه الرسالة في صورة المؤمن الصالح، الذي يسعى إلى إطفاء نار الفتنة، بواسطة العقلاء من الطرفين، لأن الأمة لديها ما هو أهم وأولى، ذلك مخافة أن يتسع الحزق على الواقع، وسيتفحل أمر العداوة بين الطرفين.

ما ذكرناه من نماذج للرسائل التي كتبها المدني هو على سبيل التمثيل لا الحصر، وإلا فرسائل المدني عديدة، يقول المدني على ذلك: " وانتظمت المراسلة بيننا وبين الخليفة عبد المجيد ردحا من الزمن"².

¹ - المصدر السابق، ص 318.

² - المصدر نفسه، ص 447.

ثالثاً: المقال:

كان المدني كثير النشاط الفكري والثقافي، وكانت علاقته بالتحريير نفود إلى سن مبكرة، يقول المدني: « أنهيت السنة الخامسة عشرة من عمري، و ولجت أبواب السنة السادسة عشر، عندما أخذت أحبر مقالات أسبوعية لجريدة الفاروق، ولم أحرر منها أكثر من خمس مقالات إذ تعطلت الصحيفة واضطهد صاحبها المقدم الجريء من جهة، وزج بي في سجن بتونس من جهة أخرى»¹.

يصف المدني بدايته الصحفية بالجريدة المذكورة، يقول: « وهكذا ابتدأت حياتي الصحفية المبكرة، وقد لازمتني ستين سنة، ولا أنسى ما اعتراني من نشوة وما وجدته في نفسي من اعتزاز، عندما جاءنا... "الفاروق" (نوفمبر 1914) بعد مدة طويلة، يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعاً تحت مقالي بشيء من الخيال والعجب كأنني ملكت الدنيا وما فيها»².

يتحدث في محل آخر عن نشاطه بالشهاب يقول: « صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة وجولات عريفة، ما يزيد عن العشرة أعوام...، وما كنت أكتب في الشهاب اخباري إنما كنت أكتب توجيهياً... وما أشدت بكفاح شعب يحاول فك الأغلال وكسر القيود، إلا كنت أفكر في الجزائر أقول لها من طرف خفي: إياك أعني فاسمعي بإجارة»³.

نستعرض ثلاثة نماذج لبعض ما كتبه المدني، في الشهاب عن مختلف القضايا وما هذه النماذج إلى غيض من فيض.

¹ - المصدر السابق، ص 113.

² - المصدر نفسه، ص 104-105.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص 397.

- المقال الأول: كتبه في نوفمبر 1937م

ردا على دعاة الإدماج، وحمل المقال عنوان "كلمة مرة، لأنه صريح الحق ولباب الواقع " « إن تزييتنا العلمية المبنية على بيان الحقيقة وإجلائها على ماهية عليه حيرتنا لا نستطيع شيئا من الموارد والتلبيس.

نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكرون، وربما عن غير سوء قصد تاريخنا ومقوماتنا، ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا، وكنا نرد عليهم بالقول في كل مناسبة تبدو منهم فيه مثل هذه البوادر السامة الخاطئة، ووقع مرة في كل مناسبة تبدو منهم فيه له قيمة معتبرة عندنا، ما هو صريح أو كالصريح في ذلك الضلال المهلك، فرأينا من الواجب علينا أن نرد عليه...، فقلنا في كلمتنا تلك إن الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها ثقافتها الخاصة وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمم الدنيا.

ثم إن هذه الأمة الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أم تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تزيد ان تندمج...

فجلونا بكلمتنا هذه الحقيقة مكشوفة في وضوح النهار، وقطعنا الطريق على متقول بالباطل، وأرحنا كل باحث ومتردد من بحثه وتردده»¹.

يحارب الكاتب فكرة الإدماج التي كان ينادي بها الجزائريون الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية، ويقر بأن الجزائر شعب واحد له تاريخه الحافل وثقافته الخاصة به، وهويته

¹ - المصدر السابق، ص 412-413.

الخاصة، ولا يمكن أبدا أن تصير الجزائر جزء من فرنسا عدا ذلك فهو باطل ولغو وتضليل.

- المقال الثاني: حرره المدني بتاريخ أكتوبر 1931م

بمناسبة استشهاد المجاهد الليبي "عمر المختار" في ليبيا حمل عنوان "سيد الشهداء ورأس الأبرار" رحمه الله رحمة واسعة، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اغتالت يد الطغيان الاستعماري بطلا من خيرة أبطال العرب، ورأسها من رؤوسهم ومجاهدا كان يقف في طليعة مجاهديهم، وصنديدا غالبته الأيام، فغلبها... وحاربتة دول من أكبر دول الأرض بجنودها ودباباتها وطائراتها فثبت أمامها ثبات الراسيات... معتدا بالله...

ذلك هو سيدي "عمر المختار" زعيم السنوسيين ببرقة الذي دافع عشرين عاما دفاعا عن بيضة الإسلام.

وكان يجول في ميادين القتال ممتطيا صهوة جواده الأدهم وقد وهن عظمه ولم يمس الوهن قلبه...

إلى أن قام الإيطاليون كميناً فأسروه إثر قتال عنيف،... فحكمت عليه حالا بالإعدام ونفذ ذلك الحكم شنقا.

ألا في سبيل الله تلك الروح الطاهرة النقية التي رجعت إلى ربها راضية مرضية، ... وما لله بغافل عما يفعل الظالمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".¹

¹- المصدر السابق، ص 453-454.

يندرج هذا المقال ضمن المقال التأبيني، ذكر فيه المدني مناقب وخصال وجهاد البطل عمر المختار الذي دافع عن دينه، وبلاده مدة عقدين من الزمن ضد الاستعمار الإيطالي ولم يمنعه كبر سنه من مواصلة الكفاح إلى أن أستشهد استشهد الأبطال.

– **المقال الثالث: في جوان 1930م** : دار حول السياسة البريطانية في فلسطين ومما ورد فيه:

"سياسة الإنجليز:

قلب صفحات التاريخ العلمي، وانظر ذلك السجل الأمين، هل تجد أمة غُلبت على أمرها، ونُكبت على أمرها، ونُكبت بالاحتلال ورزئت في الاستقلال، ثم نالت حريتها منحة من الغاضب وتنازلا من المستبد، ومنحة من المستعبد؟

اللهم كلا، فما عهدنا حرية تعطي، إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وما علمنا الاستقلال يُمنح ويؤهب، إنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد والاستماتة والتضحية. هناك حقيقة في هذه الدنيا، يجب علينا أن نعترف بها علنا،... تلك الحقيقة الثابتة هي أن الحق إذا لم يعتمد على القوة المتينة فهو الباطل، وأن الباطل المعتمد على القوة هو الحق المبين...

إن أردت الحياة فكن قويا، وإن كنت ضعيفا فمالك الموت والفناء، إن فهمنا هذه القواعد المحسوسة سهل علينا فهم أسرار الخيبة التي لاقتها المفاوضات المصرية الإنجليزية، والمفاوضات الفلسطينية الإنجليزية...

ذهب الفلسطينيون ضعافا يستجدون قويا، فلاقوا ما يلاقيه الضعيف من القوي، أمالهم أن يكونوا أقوياء وما أكثر وسائل القوة للشعوب، فيلموا ارادتهم، ويستمتع لها من كان بالأمس أصما؟¹

¹ – المصدر السابق، ص 434-436.

ما أوج قادة فلسطين اليوم إلى مثل هذه النصائح القيمة، إذ لا سبيل للولوج لباب الحرية الأحمر إلا بالأأيادي المضرجة بالدماء، ويدعو الفلسطينيون للأخذ بأسباب القوة لتحقيق نصرهم على الظالمين فالحرية تؤخذ ولا تهدي، وهذا ما بينه السجل التاريخي للأمم.

- خصائص المقال عند "أحمد توفيق المدني":

المدني من الرجال البارزين ومن الأقلام التي تشهد لها أعمدة الصحف بالحضور، سواءً الجزائرية أو التونسية، خاصة ذات التوجه الإصلاحية الذي يبدو أن "المدني" كان يركز اهتمامه على تحرير المقال السياسي بل كان من رواده، يقول "محمد الفاضل بن عاشور": « فإن النثر السياسي الذي يمثله المقال الصحفي، فقد تميز بانسجام أغراض هذا المقال مع التوجيه السياسي، حيث كانت المفردات ذات الرنة السياسية المثيرة للتعلق أو المقت، وتستطيع أن نحضر البارزين في هذا النوع من الكتابة الإعلامية، في ستة وهم وأحمد توفيق المدني»¹.

ركز أحمد توفيق المدني كثيرا على المقال السياسي، مما ينم حسّه الوطني والقومي اتجاه القضايا العربية والإسلامية.

اتخذ "المدني" من المناسبات فرصة استغلها ليحدث الأمة الجزائرية عن ثمن الحرية، وضرورة النضال والعمل الجاد للحصول عليها، كما استغل المدني المناسبات ليغرس في المواطنين المبادئ التي تعتقها الحركة الاستقلالية.²

¹ - محمد بن الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1983، ص 145-147.

² - محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 417.

نلحظ العناية البالغة لأحمد توفيق المدني بالمناسبات لأنه يتخذها فرصة لبث الوعي قصد تحقيق النصر والاستقلال لدى الشعوب.

إن الطريق الصحفي الذي اختاره المدني، كان يهدف إلى نهضة الأمة، وشحذ عزائمها للثورة على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها.¹

كثيرا ما كان المدني يعتمد في أسلوبه على توجيه الخطاب بطريقة غير مباشرة إلى الاحتلال، ويعد هذا من الحيل التي يلجأ إليها الكتاب المحرومون من الكلمة.

¹ - الجابري محمد الصالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (دط)، 1983، ص 192.

رابعاً: الخطابة:

تصدى المدني منذ شبابه للظاهرة الاستعمارية، وهكذا يجد المتصفح لخطبه، أنها تحتفل بالمواضيع السياسية المتعلقة بأنظمة الحكم والحرية، والاحتلال وسنورد نماذجين من النثر الخطابي عند المدني:

- الخطبة الأولى: ألقاها في حفل تكريم خُص به من جماعة المجلس البلدي بالعاصمة، بمناسبة عودته إلى الجزائر، واختاروا لإقامته مقهى من أفخر المقاهي في العاصمة، وكان المدعوون يزيد عددهم إلى المائة، من الأعيان والفضلاء...، ومما قاله المدني:

« أيها القوم إن لكم ديناً هو أشرف الأديان، صالحاً لكل زمان ومكان، ولكم لغة هي لغة القرآن...، ولكم وطن أي والله لكم وطن من أغلى الأوطان، وأشرفها وأعزها وأمجدها، وطن رأي فيما سلف، عز الرستميين، وشرف الحماديين وجهاد الزيايين، وفخار العثمانيين...»

فالدين واللغة والوطن هو شعاركم الذي تفتخرون به، وتعتزون به وتجاهدون في سبيله، ليؤمن كل واحد منكم بهذا الشعار: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا..، فمنه النجاح وبه الفلاح.

أنظروا إلى المستقبل أيها السادة نظرة أمل، ونظرة عمل... ليس العار على من غُلب وانكسر السلاح بيده، إنما العار كل العار هو الاستكانة والمذلة والصغار... " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم"، فغيروا ما بأنفسكم بغير الله ما بكم...، فاذكروا كفاح بولونيا وقد أصابها أكثر مما أصابكم... واذكروا قراع التشيك لقد مُزقت أوصالهم أكثر مما مُزقت أوصالكم... ما فقدوا أثناء محنتهم الطويلة أملاً، وما خافوا

في جهادهم العظيم عملاً، وأنتم الذين قال لكم الله " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا واربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".

إن دعاة السوء يسبقونكم اليوم إلى الكفر بالله، وكفر بالوطن، وكفر بالتاريخ، سيوقونكم إلى الميدان التجنس بجنسية الغالبيين يسوقونكم إلى الاندماج.

أفيقوا فكفاكم مناما، واعملوا فكفاكم تقاعساً، اجمعوا اشمكم رتبوا صفوفكم، خططوا مناهجكم، وكونوا رجال بل كونوا أبطالاً، فأبطال عمل اليوم هم أبطال الغد ولينصرن الله من ينصره، وشكرا جزيلاً، وإلى الملتقى في ميدان النضال الشريف»¹.

يهدف المدني من خلال هذه الخطبة إلى إيقاظ الشعب وجعله واعياً بماضيه وحاضره ومستقبله، كاشفاً له المشاريع الاستعمارية من تجنيس وإدماج وغيرهما، داعياً الشعب إلى الثبات والدفاع عن هويته المشرقية ومقوماتها.

فالمدني لم يفوت اجتماعاً حافلاً كالذي حضره، دون أن يصرح بما يعتقد أنه هو الحق، وأن يلفت أنظار الحضور إلى واجباتهم، وبين لهم ضلال الطريق الذي سلكوه، مذكراً إياهم بالأيام الأولى ومحفزاً لهم على الكفاح والجهاد، وما ضاع حق ورائه طالب .

- الخطبة الثانية: خطبة ألقاها بالجامع الحنفي بالعاصمة، بدعوة من "الشيخ أحمد بن عليوة" -شيخ طريقة صوفية- الذي أقام اجتماعاً شعبياً عاماً لأهل العاصمة، يحضره ما شاء منهم، وكان خطاب المدني كما يذكر هو مرتكزاً على النقاط التالية:

■ **أولاً:** من نعمة الله تعالى على المسلمين اجتماعهم في المساجد، وفي شتى المناسبات للتشاور في أمور دينهم.

¹ - أحمد توفيق المدني: حياة كفاف، ج2، ص 71-74.

- **ثانيا:** أن هذا الاجتماع، وهو الأول من نوعه يقع في ساعة سلط فيها الاستعمار سوط نغمته وعذابه على الشعب الباسل البطل.
 - **ثالثا:** يقولون لكم قولا كذبا وبهتاننا: من اجل الخروج من هذه الحالة يجب أن تتفرنسوا وأن تدخلوا العائلة الفرنسية الكبرى، وهذا كذب ونفاق، ودجل وتضليل...، ثم إن من نفرس وأضاع دينه وشرفه تنكر لمجد آباءه وأجداده، وخسر دينه ودنياه.
 - **رابعا:** أنتم أمة عظيمة، وكنتم دولة محترمة...فالتقوا حول أنفسكم واعتمدوا على سواعدكم واعتصموا بالإسلام ديننا جامعا طاهرا نقيًا.
 - **خامسا:** عدوكم لم يتمكن منكم إلا بتفرقكم وخلافاتكم... إن الاسلام الطاهر الشريف الذي يقول : " أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " لا يرضى لكم أن تتفرقوا طرائق قديدا.
 - **سادسا:** أباح الاستعمار لكم المواخير، وحبب إليكم الحانات، وعلمكم احتساء الخمر وحرم عليكم تعلم لغتكم، والتفقه في دينكم...، والزعماء الذين ينادونكم إلى التجنس والفرنسية (أعوان العدو)، لا مخرج لكم إلا الدين الإسلامي فتمسكوا به.
- أيها القوم:** الدين، الوطنية، اللغة العربية، الاتحاد الإسلامي بين كل الطبقات، هذا هو طريق خلاصكم، والسلام على من اتبع الهدى.¹
- "المدني" لا يفوت فرصة يلتقي فيها برجال الشعب، إلا وصارحهم بآرائه وأفكاره حول وضعيتهم وحالهم ومستقبلهم، ولا يتوان في فضح وبيان الدسائس والمؤامرات التي تحاك من طرف المحتل وزبانيته، والتي تستهدف هوية ومقومات هذا الشعب المغلوب على أمره.

نلاحظ في الخطبة تعريضا بأصحاب الطرق والزوايا وخرافاتهم، وباطلهم وضلالاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالمدني يريد إرجاع الشعب إلى المنبع

¹ - المصدر السابق، ص 116-119.

الصافي للإسلام، وهو الكتاب والسنة على فهم الصحابة، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.

عموما فإن المستمع إلى خطب أحمد توفيق المدني، يخيل إليه أنه يستمع إلى المصلح والزعيم السياسي عبد العزيز الثعالبي، والمدني يذكر ذلك صراحة يقول: "واستوعبت عبد العزيز الثعالبي الخطابية، واندمجت في كياني، إلى آخر رمق من حياتي، فمن سمعني وأنا أخطب، ولطالما خطبت، فكأنما يسمع الثعالبي في لهجته ونبرته، وقوة عارضته وشدة شكيمته"¹.

هذا التأثير لم يمر دون أن يترك أثره في الشاب المتقد حيوية (المدني)، فجاءت أفكاره الإصلاحية والثورية، متقدمة على ما هو سائد في عصره، كدعوته إلى تعليم المرأة مثلا.

¹ - المصدر السابق، ج1، ص 79.

خامسا: السمات الفنية للكتابة عند المدني من خلال النماذج النثرية السابقة:

أولى "أحمد توفيق المدني" عناية كبيرة بالأسلوب من اللغة متينة، وألفاظ منتقاة، وجمل بإيقاع موسيقي، وسمات أسلوبية من أهم هذه السمات الأسلوبية نجد:

1- اللغة:

تُعد اللغة عند "أحمد توفيق المدني" أداة للتواصل بينه وبين القراء، لذلك نجده يميل إلى الوضوح، ويستخدم لكل موضوع لغة خاصة، فلغة الخطب غير لغة المقالات...، إلى جانب هذا، فإن لغته تمتاز بقوة التراكيب والدقة في اختيار الألفاظ وعمقها في المعاني.

كما نجد ألفاظها سلسلة، والعبارات رصينة البناء، والكلمات منتقاة، تدل على السيطرة التامة على ناصية اللغة، وهذا ما نستشفه من خلال مقاله المعنون بـ "كلمة مرة، لأنها صريح الحق ولباب الواقع، يتحدث فيها عن دعاة الإدماج يقول: "نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكرون، وربما عن غير سوء قصد تاريخنا ومقوماتنا ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا.

حيث انتقى أحسن الألفاظ الملائمة لهذا الموضوع، ووظفها أحسن توظيف، حتى تؤدي المعنى المرجو، ومن بين هذه الألفاظ «أبنائنا، تربوا، أحضاننا، ينكرون، تاريخنا، مقوماتنا، خلعنا، اندمجنا».

وفي مقاله حول السياسة الإنجليزية في فلسطين، استطاع أن يختار العبارات الدالة عن الظلم والجور الذي مارسه الإنجليز على الفلسطينيين، وأن يختار أيضا الألفاظ التي تدعو الفلسطينيين إلى الكفاح ومثال ذلك: «...غلبت، نكبت بالاحتلال،

المستبد، المستعمر، الجهاد، الاستماتة، التضحية، إن أردت الحياة فكن قويا، أما أن لهم أن يكون أقويا، فليلموا إرادتهم.»

يجد القارئ للنماذج النثرية السابقة، أن الألفاظ والتراكيب الموظفة، مستوحاة من العصر والتراث.

أما لغة التراث فهي اللغة الغالبة في كتاباته وهي موروثه من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر والنثر العربي، إضافة إلى تقوية أقواله ببعض الحكم والأمثال، ويرجع أيضا إلى التاريخ العربي والأجنبي.

ما يميز هذه اللغة في الغالب هي السهولة والوضوح واختيار الألفاظ القوية المعبرة عن شخصيته، فيضع الألفاظ في أماكن يفسرها السياق، من أمثلة ذلك قوله في رحلته إلى العراق يصف مطار بغداد الخالي: « كان قفرا بلقعا» .

أما لغة العصر تتمثل في استخدامه للألفاظ والمصطلحات من عصره "العلمية، الفنية، الحضارية"، مثال ذلك في رسالته إلى أهله في تونس بعد أن طرد منها "حكومة الاحتلال قانون، الجهاد السياسي، حزب الحر المقدس".

2- / الاقتباس والتضمين:

تعود ظاهرة الاقتباس عند المدني إلى حفظه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأشعار والحكم والأمثال، ولا غرابة في ذلك فهو تربي في وسط عائلة متدينة متشعبة بالثقافة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك ما نجده في خطبته حينما كرم من جماعة المجلس البلدي للعاصمة يقول: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.»

وهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نُونِهِ مِنْ وَالٍ {11}﴾.¹

وأیضا في نفس الخطبة قوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {200}﴾.²

- وهو توظيف مباشر من القرآن الكريم.

نجد من الشعر، قوله عن قادة العراق الخونة الذين أُطِيحَ بيهم في ثورة 14 يوليو 1958م "، فهو الظالمون كجلمود صخر حطه السيل من عل وهذا القول مقتبس من قول امرئ القيس:

مَكَرَ مَفْرَ مُقْبِلِ مُدْبِرٍ مَعَا *** كَجَلْمُودِ صَخْرٍ حَطَهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

- لا يجد القارئ عناء في ملاحظة التوظيف الضمني للبيان القرآني مثل قول المدني في رحلته للمغرب، وهو يتحدث عن أعداد الجماهير التي خرجت احتفاءً بعودة الملك " ولا أبرأ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ {53}﴾.³

وفي قوله أيضا " هل رأيت مطامح شعب وآمال أمة قد تمثلت بشرا سويا؟"، من قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17}﴾.⁴

¹ - سورة الرعد: الآية 11.

² - سورة آل عمران: الآية 200.

³ - سورة يوسف، الآية 53.

⁴ - سورة مريم، الآية 17.

وفي مقاله التأبيني للمجاهد "عمر المختار" يقول: وحشرة من النبين والصدقين
والصالحين وحسن أولئك رفيقا"، مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ {69} ¹.

ونجد أيضا في نفس المقال قوله: "الروح الظاهرة النقية التي رجعت إلى ربها
راضية مرضية"، ومع قوله تعالى: ﴿ اَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ {28} ².

3- التخييل والتصوير:

لا نجد في النماذج السابقة للمدني كثير عناية بالصور البيانية والمحسّنات
البديعية، وما ورد كان عفو الخاطر لا يقصد إليها قصدا، لأن تركيزه منصب حول
توصيل الفكرة.

- التشبيه:

"هو بيان شيء أو اشياء شاركت غيرها في صفة بأداء وهو من أخصب
مجالات التعبير، عما في النفوس والعقول، ويُستخدم التشبيه لأنه يزيد المعنى وضوحا
ويكسبه تأكيدا" ³.

مثال ذلك قوله في وصف الجماهير التي خرجت لاستقبال الملك "نور الوجوه"
نوعه: تشبيه بليغ مقلوب، فالمشبه هنا هي الوجوه، والمشبه به النور، أصل الكلام
الوجود نور، لكن المدني قلب التشبيه تفننا في التعبير، والتماسا للمبالغة باعتبار أن
المشبه به أقوى في المشبه.

¹ - سورة النساء، الآية 69.

² - سورة الفجر، الآية 28.

³ - أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط1،

2000، ص65.

- الاستعارة:

"هي أمد ميدانا، أشد اقتنانا، وأسمع سعة... من خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني"¹.

مثالها في رسالته للشعب التونسي في قوله: " أمد لك من وراء الحدود، يد التضامن والوئام" حيث شبه التضامن وهو شيء معنوي "بالإنسان"، فحذف المشتبه به الإنسان وترك صفة من صفاته وهي "اليد"، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية غرضها تجسيد المعنوي في صورة محسوسة وزاد المعنى جمالا و وضوحا.

- الكناية:

نجدها في سيرته الذاتية وهو يتحدث عن حياته في مرحلة الصبا، ويقول أنها كانت: "حياة ناعمة سعيدة" وهي كناية عن رغد العيش وسعته وهنائه. وقوله عندما أتم دراسته القرآنية والأهلية " وخرجت ملء الوطاب" وهي كناية على نهله لعلوم جمة دينية ودنيوية.

- السجع:

نجده في رحلته للعراق بعد ثورة 14 يوليو 1958م، يقول بعد أن نزل بمطار بغداد "وصلنا وذهلنا واندھشنا" أثره: إضفاء نغم موسيقي تطرب له الأذن وتستكين له النفس ويأنس له القلب وهو من المحسنات البديعية.

¹ - المرجع السابق، ص 312.

- الجناس:

نجده في نفس الرحلة في قوله: "إن الله يمهل ولا يهمل" وهو جناس ناقص وله الأثر نفسه مع السجع وهو أيضا من المحسنات البديعية.

-الطباق:

نجده في مقالة حول فلسطين، حينما يذكر المفاوضات بين الإنجليز والفلسطينيين، بين الكلمات الآتية: الحق، الباطل، قويا، ضعيفا، الحياة الموت، وهو محسن معنوي أثره: تقوية المعنى وتوضيحه بالأضداد تتضح المعاني.

-السخرية:

وغرضها إما هجائي أو توضيحي، يتصرف فيها الكاتب بالأشخاص الذين يسخر منهم، مثال ذلك ما ورد في مقال حمل عنوان " حركة السرطان" في مارس 1939م، في الشهاب، يسخر فيه من شخص يسمى "بوعزيز بن قانة"، ممثل "جمعية أحباب فرنسا"، فيصفه المدني بأنه يرتدي قفطانا بعشرين رطلا من الذهب!

نتائج الفصل:

نستخلص مما سبق ذكره، أن نتائج الفنون النثرية لأحمد توفيق المدني في كتابه "حياة كفاح" تبرز ما يلي:

- ✓ تبقى رحلات أحمد توفيق المدني على تعددها، مادة خصبة لأكثر من ميدان خصوصا في الدراسات الأدبية الاجتماعية.
- ✓ تميزت رسائل المدني بالعبارة المنتقاة، مع مراعاة خصوصية المتلقي، وموضوع الرسالة (سياسية، دينية...).
- ✓ يلاحظ على مقالات أحمد توفيق المدني، تلك الروح الناقدة، والأسلوب القوي، والنزعة التحررية للرجل.

خاتمة

خاتمة:

إن النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث ليست نهائية - على أمل أن من سيأتي من الدراسات والباحثين سينير جزءاً آخر من هذا الموضوع - ويمكن إدراجها في النقاط التالية:

- لعب المقال القصصي والصورة القصصية دوراً بارزاً في نشأة وتطور القصة الجزائرية القصيرة الحديثة.
- عالج المسرح قضايا الشعب الراهنة في وقتها، وعلى الرغم من تعدد مواضيعه (التاريخي، الاجتماعي، الثوري)، إلا أنه لم يلق الاهتمام من النقاد والدراسين.
- تطور فن الرسائل في النثر الجزائري الحديث، خاصة بعد قيام الحركة الإصلاحية التي أعطت دعماً وأولية لهذا الفن النثري، عبر جرائدها ومجالاتها.
- عبّر المقال في النثر الجزائري الحديث عن الواقع كما هو، وبين موقف الكاتب الجزائري منه، وغالباً ما كانت مواضيعه معالجة قضايا الشعب، وخدم المقال رجال السياسة والدين معاً.
- صورت الرحلة على اختلافها في القرن 19 معالم ومواقف، وعكست كثيراً مما رآه الرحالة سواءً انفعلاً به أو وصفوه وصفاً عادياً، كما اتصف بصفات منها الجغرافي، التاريخي...
- لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دوراً بارزاً، في ازدهار فن الخطابة، وبظهور الأحزاب السياسية، تنوعت الخطب بين خطب سياسية حماسية داعية للنضال، وخطب دينية واعظة مصلحة، غير أنها تلتقي في الخصائص الفنية.

خاتمة

- تبقى رحلات "أحمد توفيق المدني" على تعددها، مادة خصبة لأكثر من ميدان خصوصاً في الدراسات الأدبية والاجتماعية.

- تميزت رسائل "المدني" بالعبارة المنتقاة، مع مراعاة المتلقي وموضوع الرسالة (سياسية، دينية،...).

- نلمس في مقالات "أحمد توفيق المدني" تلك الروح الناقدة، والأسلوب القوي، والنزعة التحررية للرجل.

- غابت على خطب "المدني" المواضيع السياسية، المتعلقة بالحرية والاحتلال والتي قصد من روائها إيقاظ شعبه.

كما خلص البحث أيضاً إلى أن الاستاذ "أحمد توفيق المدني" مفكر عربي إسلامي، دافع عن قضايا أمته الإسلامية الكبرى، وكاتب وأديب له جهود سياسية وفكرية، سخر قلمه ولسانه في سبيل خدمة الفكر الإصلاحي، خلف زادا معرفياً يُعبر بصدق عن حبه لأمته، لكنه قُوبل بالجمود كغيره من الرجال الذين يرفضون العيش في ظل النفاق.

فما على الباحث والدارس اليوم، إلا البحث في شخصية هذا الأديب والمفكر، والعناية بما خلفه من أثر مكتوب، حتى نربط الماضي بالحاضر لبناء المستقبل.

لا ندعي أننا قد استوفينا حق هذا البحث من كل جوانبه، لأن النقص مطبوع بالفطرة في الطبيعة الإنسانية، وما الكامل إلا الله دون سواه، وإن أصبت من الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

المسيلة: 2017/05/03

الطالبة: زايدي نسرين

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: برواية ورش.

أولاً: المصادر

1- المدني، أحمد توفيق : حياة كفاح، دار البصائر، ج1، الجزائر، 2008.

2- _____ ، حياة كفاح، دار البصائر، ج2، الجزائر، 2008.

3- _____ ، حياة كفاح، دار البصائر، ج3، الجزائر، 2008.

ثانياً: المراجع

1-الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط1، 1981.

2- ابن باديس، عبد الحميد: آثاره، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، ج4، ط1، 1985.

3- أديب بامية، عايدة: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

4-البرازي، محمد الباكير: في النقد الادبي الحديث، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1986.

5-بن عاشور، محمد الفاضل: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1983.

6- بن قينة، عمر: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخها، أنواعها، قضايا، أعلامها)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1995.

- 7- _____ ، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط7، 1995.
- 8- الجابري، محمد الصالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983.
- 9- الحاوي، إيليا: فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1997.
- 10- خرفي، صالح: صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مجموعة قصصية)، الجزائر، ط1، 1972.
- 11- الركيبي، عبد الله: القصة الجزائرية القصيرة، دراسة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1977.
- 12- _____ ، تطور النشر الجزائري الحديث (1830-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1983.
- 13- سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ج3، ط1، 1992.
- 14- شاوش، محمد بن رمضان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2011.
- 15- الطالب، عمار: ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة، ج1، ط2، 1983.
- 16- الطمار، محمد: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010.
- 17- علي الوزير، محمد السيد: الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دت)، (دط)، الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع

- 18- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر عبد القادر، تح: ممدوح حنفي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ج 1 - ج 2، ط2، 1964.
- 19- المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الأفق العربية، القاهرة، ط1، 2000.
- 20- مرتاض، عبد المالك: فنون النشر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 21- مصايف، محمد: النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط).
- 22- ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- 23- نجم، محمد يوسف: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1966.
- 24- الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، ج1، 1969.

ثالثاً: الرسائل

1. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983م،

الملحق

ترجمة أحمد توفيق المدني: خطيب القطرين

وُلد الأستاذ "أحمد توفيق المدني" في 01 نوفمبر 1889م، في تونس من أب جزائري هو السيد: "محمد المدني" وأم جزائرية هي: "عائشة بويزار، عائلتان جزائريتان هاجرتا إلى تونس، إثر فشل مقاومة 1871م. وزاول المدني دراسته الابتدائية والثانوية ثم الجامعية، بالزيتونة بتونس، وهو صغير في المراحل الأولى لدراسته في الكتاب، بدأ يظهر اهتمامه المبكر بالكفاح المناهض للاستعمار، بدأ ذلك من خلال مساهماته مع أقرابه في إنشاء جماعات تنادي، بالثورة ضد فرنسا التي احتلت أرضهم.

من الزيتونة إلى السجن:

منذ 1915م، أخذ المدني يسجل نشاطا في لجنة الثوار التونسيين التي ترى بأن الكفاح المسلح، هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقلال في تونس، وبقيّة البلاد الإسلامية الأمر الذي أدى به إلى السجن، واتهم بالمساس بالسيادة الوطنية. قضى في السجن أربع سنوات، استغلها في مطالعة الكتب والروايات والمجلات، وتعلم الفرنسية في السجن، وبعد خروجه من السجن أسس رفقة مجموعة من رفاقه حزب الدستور عام 1920م، وعُدّ عضوا في لجنته التنفيذية. طرده من تونس إلى الجزائر عام 1925م:

تعد سنة 1925م، السنة الفاصلة في حياة المدني، وبإعلان من الحاكم الفرنسي تقرر طرده من البلاد، وإرساله إلى وطنه الأم الجزائر ورغم الرقابة المتواصلة عليه من الأمن الفرنسي، استمر في نضاله السياسي والاجتماعي والثقافي، يصرح بمبادئه الثلاث، الإسلام، العربية، الجزائر.¹

¹ - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، ص 7-9.

ساهم أحمد توفيق المدني في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م، رفقة إخوانه في الحركة الإصلاحية، وأصبح المحور السياسي لجريدتي الشهاب والبصائر، وفي سنة 1941م أصبح أميناً عاماً لتلك الجمعية.¹

بعد أحداث 8 ماي 1945م، ومع الكفاح السياسي المكثف على جميع الجبهات، بدأ عهد جديد، ففي سنة 1952م، اجتمعت مختلف الأحزاب في مكتب الأستاذ المدني، بهدف تشكيل الجبهة الجزائرية لحماية واحترام الحرية، وانتخب المدني أميناً دائماً لهذه الجبهة.²

كأن شعار هؤلاء الأحزاب كان فلتعمل جميعاً فيما اتفقنا عليه، ولينذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

أثناء حرب التحرير مثل جبهة التحرير بالقاهرة، كما تشغل منصب وزير الثقافة في أول حكومة جزائرية مؤقتة، كان على رأسها فرحات عباس، وفي سنة 1962، أصبح وزيراً مفوضاً لدى الجامعة العربية، وبعد الاستقلال تم تعيينه وزيراً للشؤون الدينية، وترك فيها آثار لا ينكرها إلا جاحد أو معاند، إذ كان له فضل في تأسيس وفتح 17 معهداً إسلامياً، إضافة إلى استقدامه مجموعة من الأساتذة المختصين، في العلوم الإسلامية والعربية، من الأزهر الشريف.³

نشير في هذا الإطار إلى الدور الكبير والهام الذي كان لهؤلاء الأساتذة، في تكوين إطارات الدولة الجزائرية بعد الاستقلال وخاصة في إحياء العروبة والإسلام.

¹ - محمد بن رمضان شاوش: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط1، 2011، ص518.

² - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، ص12.

³ - محمد بن رمضان شاوش: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص518-519.

عُيّن أحمد توفيق المدني، سفيراً بعاصمة الفرس، ثم عاصمة بلاد الرافدين، فتركيا، وأخيرا بإسلام آباد، ليعين في الأخير مستشاراً مؤرخاً في المركز الوطني للدراسات التاريخية، وشرفاً على القسم العثماني، عمل به إلى غاية وفاته سنة 1983م.¹

يظهر لنا أن أحمد توفيق المدني رجل دولة ودبلوماسي بامتياز، ولذلك أطلق عليه "الأستاذ الوزير".

مؤلفاته:

- للأستاذ المدني تأليف قيمة مثل:

1. « قرطاجنة في أربع عصور، تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام ».
2. « المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا»، يبين فيه بطولة المغرب الإسلامي في مجال الفتوحات.²

- من أعماله أيضا:

3. كتاب « نضال إيرلندة » في 1923: وهو كتاب موجه للشعب الجزائري، ليبين له من الضروري الاعتماد على الكفاح المسلح للتحرك.
4. كتاب « تقويم المنصور » عام 1925م: في شكل حولية تحتوي على فصول عديدة، يراد منها بعث الضمائر، ولفت الانتباه إلى ما تزخر به الجزائر من جمال سياحي، وبحوث عن جغرافيتها ومراحل الحضارة العربية الإسلامية.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص519.

²- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2010، ص490.

5. كتاب «الجزائر» 1931م: تخليدا لمجد وطنه، أما عن محتواه فشمل تاريخ البربر، النومديين، الغزوات الرومانية والوندالية، والفتح الإسلامي في المغرب العربي، قم قدوم العثمانيين، وأخيرا الغزو الفرنسي.
6. «جغرافية الجزائر» 1952، لتلاميذ الجزائر.
7. «حنبل»، وهي رواية مسرحية، عُرضت في مسرح الجزائر عام 1948م، تروي ملحمة بطل قرطاجنة.
8. «هذه هي الجزائر» ، 1956م، ألفه بعد وصوله إلى القاهرة، لتتعرف من خلاله الشعوب العربية على تاريخ وكفاح الشعب الجزائري.
9. «مذكرات الشيخ الزهار» ، وهي تعليق على المرحلة العثمانية في الجزائر.
10. «حرب 300 سنة» بين الإسبان والجزائر.
11. « حياة كفاح » (مذكرات)، في ثلاث أجزاء.¹

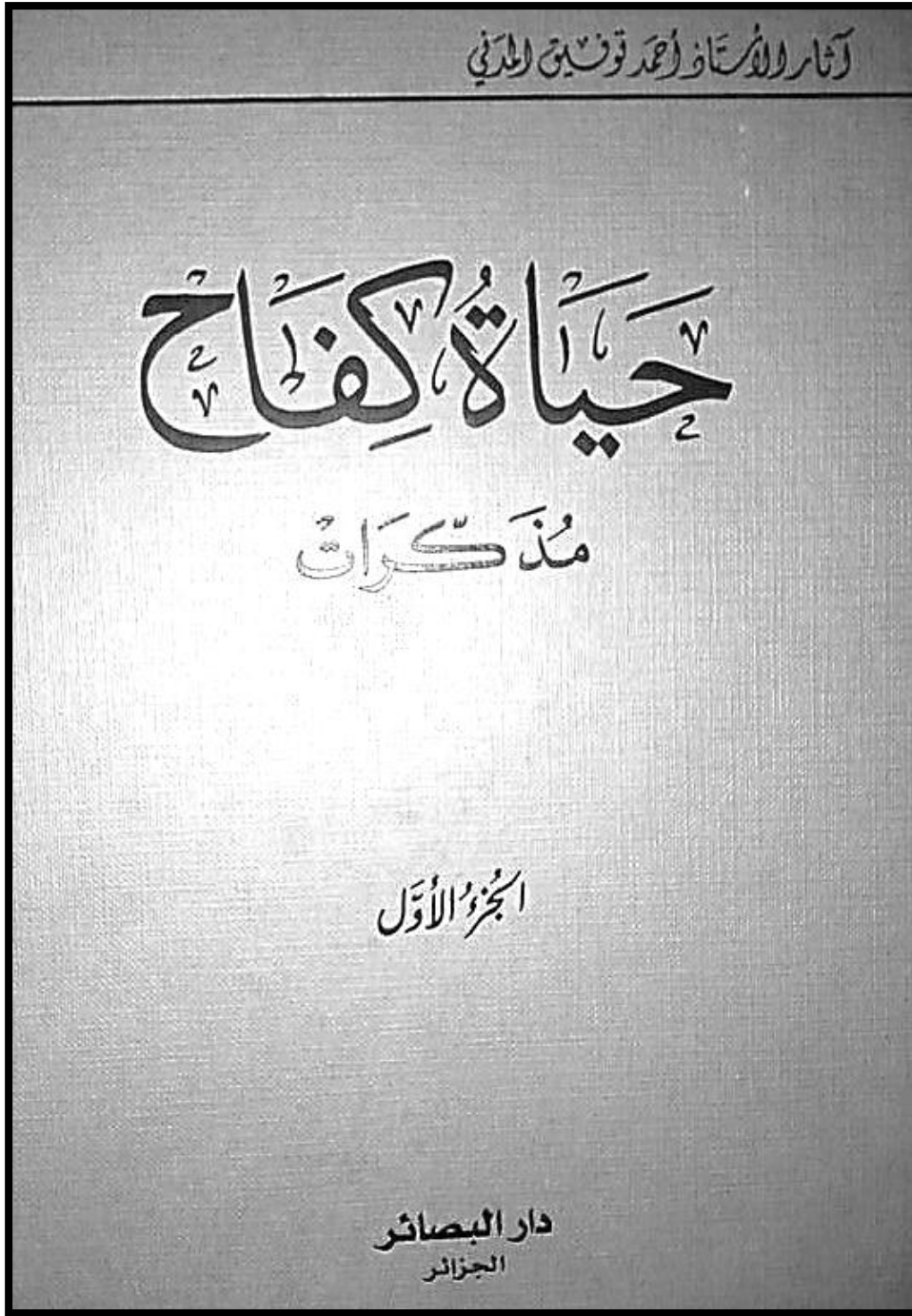
هذا الأخير بصفحاته التي قاربت الألفي صفحة، في طبقه دار البصائر 2008، يلخص نضال رجل وكفاحه، ويصور جمود أمة وانتصارها على الأعداء الخارجيين أمة أبت أن تذلل أو تستكين أو تفرط في هويتها الإسلامية.

هذا إضافة إلى مقالات ومحاضرات قيمة في شتى المجالات، نجدها مبنوثة في جريدتي البصائر والشهاب وغيرها.

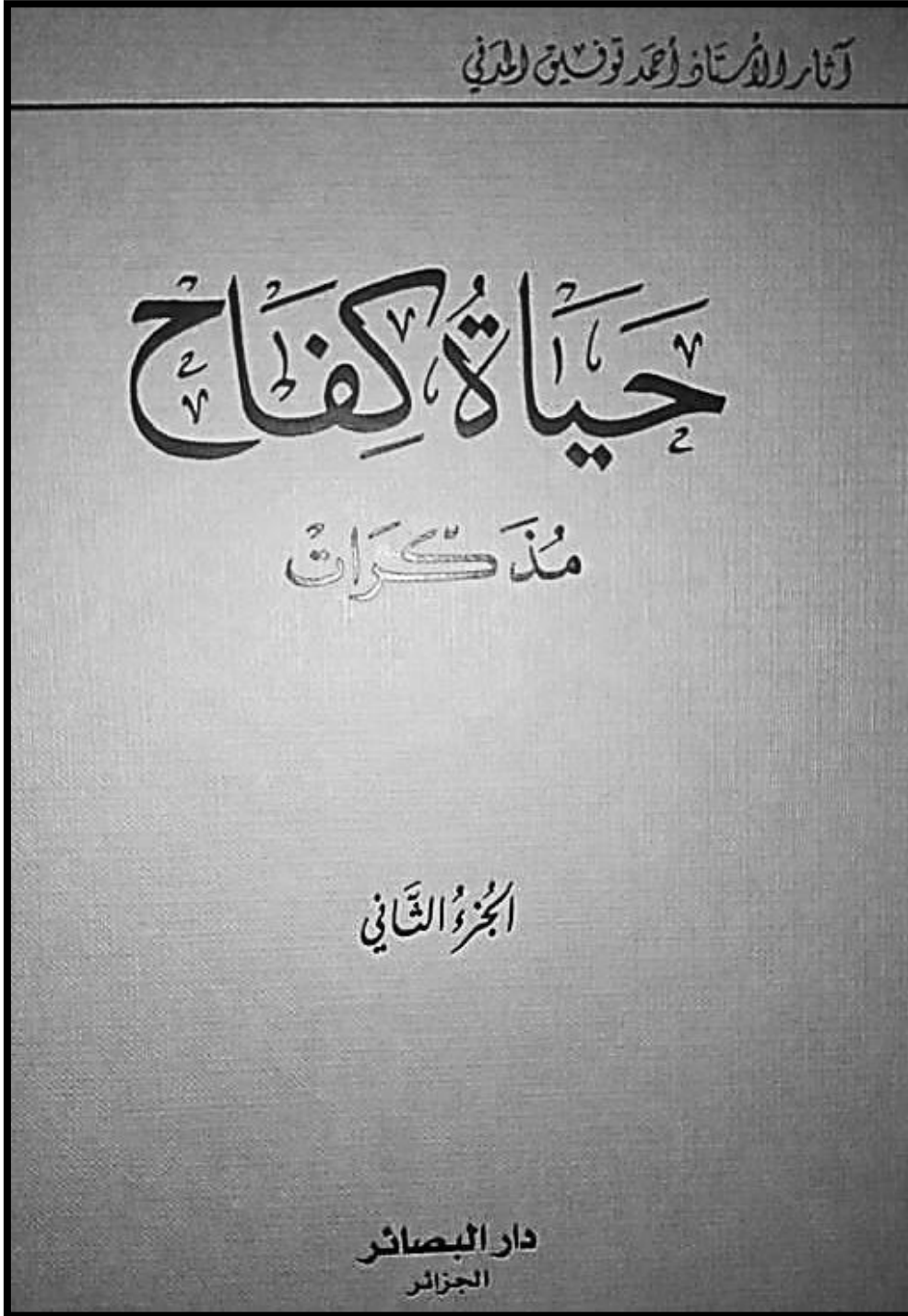
قصارى القول أن الظروف الإبعاد والصعوبات المادية، ومفارقة الأهل لم تقف حاجزا في وجه إبداع أحمد توفيق المدني، الفكري والثقافي، بل أعطته دفعا قويا للإنتاج والتأليف.

¹- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، ص 13-16.

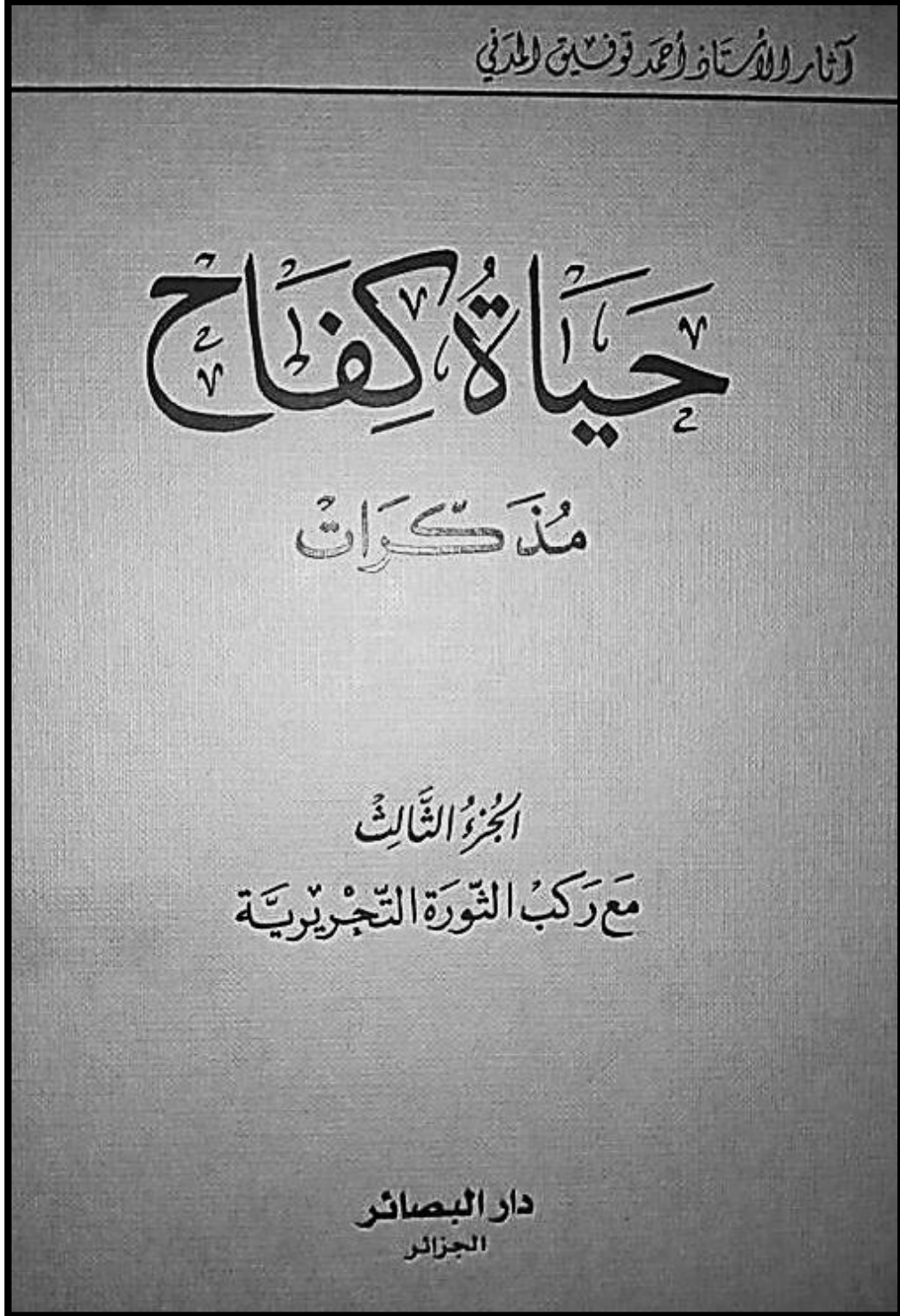
كتاب حياة كفاح "الجزء الأول" لأحمد توفيق المدني



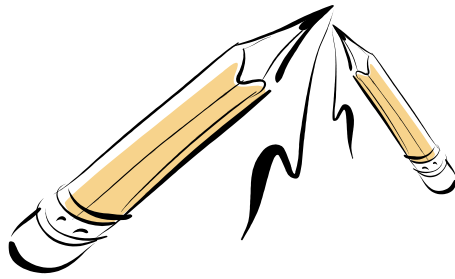
كتاب حياة كفاح "الجزء الثاني" لأحمد توفيق المدني



كتاب حياة كفاح "الجزء الثالث" لأحمد توفيق المدني



فهرس المدرضوعات



فهرس الموضوعات

شكر وعرهان

أ	مقدمة.....
05	تمهيد.....

الفصل الأول: الفنون النثرية في الأدب الجزائري الحديث

08	أولاً: القصة.....
12	أ. النشأة.....
10	ب. التطور.....
13	ج. عوامل ظهور القصة الفنية الناضجة في الجزائر.....
16	ثانياً: الفن المسرحي.....
17	أ- العوامل التي ساعدت على ظهور الفن المسرحي في الجزائر.....
18	ب- الموضوعات التي عالها الفن المسرحي الجزائري.....
20	ثالثاً: فن الرسائل.....
21	أ. الاتجاه الأول.....
21	ب. الاتجاه الثاني.....
24	رابعاً: فن المقال.....
24	- عوامل ظهور المقالة في الجزائر.....
27	خامساً: أدب الرحلة.....
30	سادساً: الخطابة.....
34	سابعاً: السيرة الذاتية.....
36	نتائج الخلاصة.....

الفصل الثاني: نماذج من الفنون النثرية في كتاب حياة كفاح

38	تمهيد
39	أولاً: الرحلة
47	ثانياً: الرسائل
52	ثالثاً: المقال
58	رابعاً: الخطابة
62	خامساً: السمات الفنية للكتابة عند "أحمد توفيق المدني"
68	نتائج الخلاصة
70	خاتمة
73	قائمة المصادر والمراجع
77	الملحق
85	فهرس الموضوعات
	الملخص

الملخص:

يعالج البحث موضوع اشكال التعبير الأدبي في كتابات "أحمد توفيق المدني"، وأخذنا كتابه "حياة كفاح" كنموذج على ذلك: إذ تطرقنا في البداية إلى رصد الفنون النثرية في الأدب الجزائري الحديث ثم درسنا تلك النماذج التي وظفها "المدني" في مذكراته "حياة كفاح".

والذي أراد من خلاله أن يبيّن الفنون النثرية ودورها في إبراز قدرة الأدب الجزائري الحديث على مواكبة النهضة العامة للشعب الجزائري إبان الاستعمار، وهذا ما دفع بعجلة تطور النشر الجزائري من حيث الصياغة والأسلوب، كما فرض على الأدباء الالتزام بقضايا الشعب والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية.

إن "المدني" مفكر عربي إسلامي سخر قلمه ولسانه في خدمة الفكر الإصلاحية بأسلوب قوي وروح ناقدة ونزعة تحريرية عبّر من خلالها عن حبه لوطنه!.

الكلمات المفتاحية:

- فن.
- مسرح.
- نشر.
- خطابة.
- قصة.

Résumé:

Adresses des formes de sujet de recherche d'expression littéraire dans les écrits de "Ahmed Taoufik El Madani", et a pris son livre (la vie de la lutte) comme un exemple de ceci: que nous avons eu affaire au début de surveiller les arts en prose dans la littérature algérienne moderne et étudié les modèles utilisés par "El Madani" dans ses mémoires "la vie de la lutte".

Qui a voulu montrer à travers les arts prose et son rôle pour mettre en évidence la modernité de suivre la relance générale du peuple algérien au cours de la capacité de la littérature algérienne coloniale, Cela pousse en avant le développement de la prose algérienne en termes de langue et le style, et d'imposer aux auteurs engagement envers les questions du peuple et de défendre l'identité arabe et islamique.

Le "El Madani" penseur arabe islamique ridiculisé sa plume et sa langue dans un style fort service de la pensée réformatrice et de l'esprit de la critique et la tendance du libéralisme à travers lequel son amour pour sa patrie!.

Mots-clés:

- art
- théâtre
- prose
- diction
- histoire